

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

الحقائق الإسلامية

في الردّ

على المزاعم الوهابية
بأدلة الكتاب والسنة النبوية

تأليف

الحاج مالك به ابن الشيخ داود

وفقه الله والمسلمين بسعيي محمود
قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست



HAKİKAT KİTABEVİ

Darüşşefaka Cad. No: 57/A P.K. 35
34262-Fatih İSTANBUL Tel: 523 45 56
TURKEY

1986



المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

قال العلامة محمد ابن علي بركوي في الطريقة المحمدية

فإن في كيف التطبيق بين قول^ه صلى الله عليه

كل بدعة ضلالة وبين قول الفقهاء إن البدعة قد تكون مباحا
كاستعمال المنخل^{المنخل} وقد تكون مستحبا كبناء المنارة والمدارس
وتصنيف الكتب بل قد تكون واجبا كظلم الدلائل^{الدلائل} رد شبه
الملاحدة ونحوهم قلت للبدعة معنى لغوي عام هو محدث
مطلقا عادة أو عبادة لأنها اسم من لا يتداع^{يتداع} بمعنى لا يحدث
كالرفعة من الارتفاع والخلقة من الاختلاف وهذا هو المقسم
في عبارة الفقهاء يعنون^{يعنون} بها ما أحدث بعد الصدر الأول
مطلقا ومعنى شرعي خاص هو الزيادة في الدين أو نقصان
منه الحد ثان بعد الصحابة بغير إذن من الشارع لا قولا ولا
فعلا ولا صريحا ولا إشارة فلا تتناول العادات أصلا
بل تقتصر على بعض الاعتقادات وبعض صور العبادات
فهذه هي مراده عليه الصلوة والسلام بدليل قوله عليه
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين^{بين} بعد
وقوله عليه الصلوة والسلام أنتم أعلم بأمر دينكم وقوله
عليه الصلوة والسلام من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

الحقائق الإسلامية

في الردّ

على المزايم الوهابية
بأدلة الكتاب والسنة النبوية

تأليف

الحاج مالك به ابن الشيخ داود

وفقه الله والمسلمين بسعيي محمود

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست



يطلب من المكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفتح ٥٧ استانبول - تركيا

هجري قمرى ١٤٠٧ هجري شمسي ١٣٦٥ ميلادى ١٩٨٦

﴿ تنبيه ﴾

من اراد ان يطبع هذه الرسالة وحدها او يترجمها الى لغة اخرى فله من الله الاجر الجزيل ومنه
الشكر الجميل وكذلك جميع كتبى كل مسلم ماذون بطبعها بشرط جودة الورق والتصحيح

المكتبة التخصصية للرد على الوهاية

إهداء الكتاب

الى حضرة المجاهد الاكبر، المنهض حاليه و الدال على الله مقاله سيدى و مولاي
الحاج عبد العزيزيه . خليفة المسلمين و خادم الحضرة الاحمدية فى افريقية الغربية .
إننى أتشرف باهداءكم هذه المؤلفه المتواضعة تقديراً لمساعدكم الحميدة و
مجهوداتكم الجبارة التى ما برحتم تبذلونها لصالح الاسلام و المسلمين . و يسعدنا ان نؤكد
فى هذه السطور مالفصيلتكم من أباد بيضاء . و مواقف غراء ، فى مختلف القضايا الاسلاميه
منها ، و الوطنيه . لقد كنتم — يافضيله الشيخ — السند الأقوى و القدوة الحسنى لابناء
هذه الامه المسلمه . و قمتم خير قيام لتحقيق التضامن و اصلاح ذات البين فى ظروف يكاد
التعصب بين الطرق الصوفيه ، و المذاهب الفروعيه . يمزق شمل الامه و يوهن قوتها أو
يقضى عليها بالكلية .

و لكن لحسن الحظ و بفضل ما اوتيتم به من الحكمة و فصل الخطاب ، استطعتم
ان تفهموا كل من يفهم القول بان الطرق و المذاهب مهما تعددت و تحالفت فى الاشكال
و النظم ، فانها تهدف الى تحقيق غاية واحدة و هى توجيه العباد الى معالم العبادات و
جعلهم أمة متحدة ذات هدف و شعور مشتركين و قد تحقق بحمد الله تعالى فى عهدكم
الزاهر الشئ الكثير من تلك الاهداف الغالية . فنسأل الله العلى القدير ان يجعل سعيكم
مشكوراً و جزاءكم موفوراً انه تعالى لا يضيع أجر المحسنين .

مقدمة

إنها محاولة كانت ولا بد من ان نكتبها بمقتضى القضاء والقدر فلولا ذلك لما ظهرت الى الوجود لضعف مستويينا الثقافى والتعبيرى ولأن الكتابة تحتاج أيضا الى مزيد من الآلات غير المداد والقلم. فلنا متزودين بتلك الآلات التى هى معرفة اساليب الانشاء، وقواعد التركيب والترتيب. ولنا كذلك من عارف التصنيف ولاء الفى التأليف. ولكننا سلطنا مسالك غيرنا، وتحملنا بما لا حول لنا به ولا قوة. والحق ان سلوكنا وتحملنا بهذا وذاك انما هو تعبير صادق عن حقيقة رغبتنا لامتحاض النصيحة لعامة المسلمين. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (الدِّينُ نَصِيحَةٌ)

هذا ولم يكن ليخطر ببالي ان اكتب مثل هذه الرسالة الا بعد ان جالست بعض الوهابيين عدة مرات، وناقشت معهم شتى الموضوعات الدينية. واضف الى ذلك ما رأيته فى الكتب من مؤلفاتهم، وما استمعت اليه من محاضراتهم وندواتهم فظهر لى ما يسرونه لغيرهم وما يعلنون. ووجدتني - والحال هذه - مضطرا للدفاع عن المظلومين و ان اكف أيدى المعتدين عملا بقوله تعالى: (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ، فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * الشورى : ٤١) وقوله عليه الصلاة والسلام: (أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا) هذا ويمكن التحقق بان الهدف الوحيد والغرض الرئيسى من تأليف هذا الكتاب هو بث الحقائق الاسلامية، وتخليص ذوى الافهام المنحرفة من ورطة الافراط والتفريط لا غير. ولست أقصد من وراء هذا العمل الا الشفقة على الاخوان المسلمين علما بان انتقاد اولياء الله تعالى نذير سوء الخاتمة - والعياذ بالله! - وليس لى أى غرض الى شن الهجوم ضد الوهابيين او التعدى عليهم بالظلم والعدوان. كلا! وحاشا!

ولكننى فى الواقع انما اخاطبهم بلسان النصيحة وأذكرهم - ان نفعت الذكرى - بأن دعوتهم هذه، وان كانت فى البداية لأجل نصرة دين الله الحنيف قد صارت اليوم - وبالإلأسف - حجرة عثر فى طريق الاخوة الاسلامية، او شبه حجرة تحركها يد الشيطان فترمى بشرر العداوة بين المسلمين من جهة، وبين ذوى الارحام من جهة أخرى. او بعبارة اخرى ككرة تتقاذفها الاهواء بين فرق من الجهال وأفراد ممن يسمون أنفسهم (سُنيّين)

على الرغم من تجاهلهم وتهاونهم بمعنويات السنة ومقتضياتها هذا، وقد التزمت من نفسى وحاذرت كل الحذر حرصا على توفير العدالة المنطقية، ونظرا الى أن الحق أحق أن يُتَّبَعَ — إلتزمت ان لا اكتب فى هذه المؤلفه غير الواقع المشهود، استنادا على الحق. وخوفا من ان اكون كالتاقد المتطرف الذى يعتمد فيما يكتب او يقول: على القيل والقال. أو على الرجم بالغيب (وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ * يوسف : ٨١)

هذا وأملى كبير فى ان يطالع هذه السطور آذان واعية ونفوس مستعدة لقبول الحق آتياً كان مصدره. والله در القائل: (أَنْظُرْ لِمَتَّعْنِي الْقَوْلَ لِأَلْقَائِلِ وَالْحَقُّ مَقْبُولٌ وَلَوْ مِنْ جَاهِلٍ) وسميتها بالحقائق الا سلامية فى الرّدّ على الزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية.

ثم انى اعتذر مرة اخرى لكل من اطلع عليها من النحاة وذوى الثقافة بأنى لا املك غير حسن الظن بالله وهو المسئول بأن يتمم لى المقصود. ويجعلها مقبولة لديه، خالصة لوجهه الكريم، نافعة لمن اطلع عليها، إنه ولى التوفيق والهادى بمنته إلى الصراط المستقيم.

الحاج مالك بنه

نزىل مدينة «كوتبالا»

جمهورية «مالى»

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله الذى أنشأ وصور ونشهد ان لا اله غيرك يا من أسمع وأبصر والصلاة والسلام على مولانا محمد سيد من بشر وأنذر القائل : (مَنْ كَفَرَ مُسْلِمًا فَقَدْ كَفَرَ) وعلى اله وصحبه، ومن اوى ونصر

اما بعد فان الباعث الوحيد لى الى وضع هذه الرسالة هو النصيحة لعامة المسلمين والرد على بعض الوهابيين المتطرفين الذين يظنون بالمسلمين غير الحق ظن الجاهلية ويزعمون أن من لم يكن وهابيا فهو مشرك حتى ولو أقر بالشهادتين و اقام الصلاة و آتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت. لأن الوهابية عندهم بمثابة سنة نبوية يجب الاقتداء بها بالقلب والقالب وكان الوحي الالهي إنما أنزل على محمد بن عبد الوهاب (المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ) لا على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. [١] وأقول بان هذه المزاعم وأمثالها ليس مصدرها إلا الجهل الذى هو الداء العضال فى كل زمان ومكان، والذى لا يقتل أعضاء الجسم وحدها إنما يقتل معها أعضاء الامة جمعاء.

ولا شك أن هذه الخلافات التى مني بها مجتمعنا القومى فى عصرنا الحالى، جاءت نتيجة لسببين ظاهرين: اولهما: هو الجهل المركب الذى لا يميز صاحبه بين الخبيث والطيب ولا بين المندوب والمكروه ثم لا يعترف بجهله فيسكت. والثانى: هو عدم فهم بعض المسائل الدينية فهما حقيقيا، مما اتاح لهم فرصة ليحرفوا بعض الآيات والاحاديث عن مواضعها فيترتب عليه إجرام البرئ تارة وإبراء المجرم تارة اخرى.

ولأجل هذين السببين عمت البلوى بانتشار الخلافات الدينية مما أدى الى قطع الارحام وهجران المساجد واختلاف المفاهيم والآراء، وأخيرا اختلط الدين بالطين وانتهى الأمر الى الفوضى. وقديماً مثل حكيم عن كثرة الخلافات فأجاب: (لو سكت الجاهل لارتفع الخلاف)

(١) اما اولئك الوهابيون المعتدلون الذين لا يعتقدون ذلك ولا يزعمون تلك المزاعم فلم يتوجه اليهم كلامنا اهـ.

ما احوجنا اليوم الى السعى وراء التفقه في الدين والاهتمام به ، كواجب مقدس . وما أجدد بنا للتمسك بالكتاب والسنة والتقيد بأحكامهما قولاً وفعلاً .

وما اسعدنا لو وقفنا صفاً متحداً وقلبا واحداً ضد هذه الخلافات الهدامة و التقسيمات الطائفية التي شأنها خلق التباغض والتقاطع بين افراد المسلمين و جماعاتهم و حبذا لو استحضرننا بأذهاننا عهد الخلفاء الراشدين و سلكننا بتصرفاتنا الدينية و الدنيوية نهج المسلمين الاولين من المهاجرين و الأنصار الذين وصفهم الله تعالى بقوله : (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ فَتَحَ : ٢٩) وبقوله : (أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) المائدة : ٥٤)

وقد كانوا — رحمهم الله — مضرب المثل في التسامح و التناصح و حسن الجواز و جدير بنا — نحن الخلف — ان نحذو حذو سلفنا الاخيار و نمثل في كياننا أمة مسلمة متماسكة بمعنى الكلمة هدفها : الاعتصام بحبل الله و غايتها : القضاء على اسباب التخالف و التباغض بين افراد المسلمين و جماعاتهم . كما كان الأمر في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و في عهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم .

وهنا نطرح السؤال التالي : ما هي العلوم التي يجب ان نتعلمها لفهم القرآن الكريم و الشريعة الاسلامية ؟ أهى العلوم التي في الكتب العصرية و التي يؤلفها بعض المتقولين ممن لا يعتد بأقوالهم ولا يحتج بأرائهم وإنما يحبون فقط ان تشيع الخلافات بين الأمة ؟ ام العلوم التي في الكتب الأصلية المستنبطة من الكتاب و السنة و من اقوال أئمة المذاهب و رجال الدين ؟ و الجواب على السؤال واضح .

ولكى نفهم القرآن الكريم و الشريعة الاسلامية فهما حقيقيا لابد و قبل كل شيء من معرفة نصوص القرآن الكريم و أصول الحديث ، و الفقه ، و اللغة ، و النحو ، و غيرها ...

فهذه كلها علوم ضرورية لا يستغنى عنها في فهم الشريعة . و يجب تعلمها و الاعتناء بها بأكبر قدر ممكن . لأن ما لا يتم الواجب الآ به فهو واجب .

و لكن فمن المؤسف جداً ان بعض اخواننا الوهابيين لا يعرفون من هذه العلوم شيئاً ومع ذلك فهم يدعون المعرفة و التدنن . و تراهم يتجادلون في الدين آناء الليل و

اطراف النهار ويفسرون القرآن و الاحاديث الأسواق و الاندية العامة دون معرفة الناسخ او المنسوخ ولا سبب النزول ولكن بآرائهم الشخصية. فكثيرا ما يحرفون الكلم عن مواضعها و العياذ بالله. و في الحديث: (مَنْ قَسَرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ فِي النَّارِ) «اخرجه الترمذى» ولا تكاد تجد منهم من يعرف في الاسلام اكثر من وقائع التاريخ و قصصه المسرودة: كفتح مكة وقصة خيبر و أحداث بدر و أحد و حنين و ما أشبه ذلك من الحروب الاسلامية و تواريخ الخلفاء و الشخصيات البارزة.

و حيث كانت معرفة هذه الحروب مهمة في نظر الاسلام فإن معرفة نصوص القرآن الكريم و اصول الحديث و الفقه أهم بأضعاف مضاعفة. ذلك لاننا بواسطة هذه العلوم نصل إلى معرفة فروض الاعيان و التمييز بين الحلال و الحرام بينما لانصل إلى معرفة ذلك من خلال الحروب المذكورة.

و على هذا فإن طلاقة اللسان و معرفة هذه الحروب و تلك الاحداث لا تجعل الانسان عالما مادام يجهل فروضه و الواجبات عليه. ولا ينبغي للمسلم ان يصرف همه في تعلم هذه الحروب و تفاصيلها و ان يستغرق اوقاته في تتبع مواقعها و نتائجها، حين لا يعرف شيئا عن امور دينه و احكام عباداته. بل الواجب عليه أن يهتم أولا بتطهير قلبه و تحسين سلوكه و أخلاقه ثم يسعى الى معرفة ما يصلح به فرض عينه من احكام الصلاة و الطهارة، و الصيام. و ما الى ذلك من فروض الاعيان. و له بعد ذلك أن يتعلم ما يشاء من فروض الكفايات التي من بينها هذه الحروب و تلك القصص و الحكايات.

و مهما تغافل المرء عن تعلم فروضه العينية و اشتغل بما دونها من القصص و الحكايات ليميل إليه قلوب العامة و يستجلب مشاعرهم و رضاهم كان مضيعا للوقت و خاسرا في الحال و المال .

الاسلام وأهدافه في توحيد الأمة

الاسلام هو الدين الحنيف الأمر بالتأخي والتألف، والنهي عن التقاطع والتخالف، ويهدف هذا الدين القويم من خلال أوامره الربانية وتوجيهاته النبوية الى خلق جو يسوده التفاهم والتحابب بين أفراد المسلمين وجماعاتهم وينادي بأعلى صوته الى الاعتصام بحبل الله والى اصلاح الأخوة الاسلامية ورعاية حقوق الجوارى في جميع المستويات. ويحرص هذا الدين كل الحرص على التماسك والتحابب بقدر ما يكره التباعد والتخالف. قال الله تعالى: (...وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ... * الانفال: ٤٦) وقال أيضا: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا * آل عمران: ١٠٣) ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (لَا تَخَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) رواه انس وقال عليه السلام: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْفَرْصُوصِ يَشُدُّ بَغْضُهُ بَغْضًا) رواه البخارى ومسلم وقال ايضا: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) رواه البخارى ومسلم

والاسلام احرص شئ على التوافق والتعاون بين أبنائه ويظهر ذلك جلياً في كل توجيهاته، وتعليماته، وخاصة في قواعد الخمس التى هى: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. فالشهادتان تشكلان المورد الالهى العذب، الذى ترده القلوب والالسنه بين حين وآخر، فترتوى من ماء التوحيد الذى هو السبب الايجابى للحياة الأبدية والسعادة السرمدية

والشهادتان — بالمعنى الصحيح — تعبران عن لفظ التوحيد ومعنييه الحقيقين و هما أساس القواعد الخمس التى بنى عليها الاسلام.

والصلاة هى إجتماع مفروض بين المسلمين يؤمناً ليقوموا الى عملية العبادة بحركات متحدة من قيام، وركوع، وسجود، وجلوس، وسلام. ويتكرر هذا الاجتماع خمس مرات فى اليوم، فيترتب منه التعارف بين المسلمين والتألف والتعاون فى كل المجالات.

أما الزكاة فهي من أجل مظاهر التعاون والتراحم بين المسلمين ومن أسرع جوابل التعاطف والتعاطف بين الأغنياء والفقراء، فالغنى يأخذ كل سنة جزءاً من ماله الخاص ليضعه تحت تصرفات أخيه الفقير وهو لا يريد منه الجزاء ولا الشكور. بل يعد ذلك من الواجبات الاجتماعية التي أوجبتها عليه أحكام الشريعة الإسلامية العادلة. ثم يأخذه منه ذلك المحتاج شاكرًا إياه والاسلام معاً.

ثم يأتي دور الصوم وكأنه يريد من الغنى ان يتعرف على الظروف التي تحيط بالفقير فيعيش معه نفس الظروف؛ من الجوع والعطش طيلة شهر كامل ليتسنى له بين حين وآخر، ان يتذكر احوال إخوانه الجائعين وذوى الفاقة فيعطف عليهم ويواسيهم بما تملكه يده فيحصل له من الله الأجر ومن إخوانه الشكر.

ثم الحج الذي هو المؤتمر السنوي للمسلمين حيث يتوجهون كل سنة الى اقدس الاماكن واشرف البقاع. وهى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ولزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة وهى فرصة سانحة يغتنمها المسلمون لفائدة دينهم الدنيوية فى آن واحد...

و الحج مظهر رائع من مظاهر التشابه والمساواة بين طبقات المسلمين من الأغنياء والفقراء وداع من دعاة التعاطف وعدم التخاصم فيما بينهم قال تعالى: (فَلَا رَقَبَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) البقرة: ١٩٧

تلك هى قواعد الاسلام الخمسة وهذه، توجيهاتها وتعليماتها وكلها تهدف أساسا الى توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم واحترام بعضهم بعضاً. ويتبين للمسلمين من خلال تأملهم الى هذه القواعد الاسلامية وتأثيراتها فى المجتمع بأنهم مطالبون بالتعاطف والتماسك بدلاً من التخاصم والتخالف كما هو الواقع اليوم.

ومن هنا نرى ونحكم أن كل دعوة أدت الى التفرقة والشقاق بين أفراد الامة فهى دعوة باطلة بأدلة الكتاب والسنة. وهى بالتالى دعوة بريئة من الاسلام، والاسلام برىء منها مهما بلغ تأثيرها فى قلوب العامة ومهما كثر أنصارها وأتباعها. وفى الحديث: (إِنَّمَا زُجِّلَ قَامَ يُفَرِّقُ بَيْنَ أَقْنَى قَاضِرُ بَوَا عُنُقَهُ)

فالدعوة الوهابية كمالات يخفى على أحد كانت وما زالت مصدر الاختلاف و

الخصومات بين المسلمين، من لدن عهد احمد بن تيمية المؤسس الأول^[١] لهذه الدعوة الى عهد محمد بن عبد الوهاب الذى جددھا بعد أربعمائة سنة من وفاة ابن تيمية الذى كان قد واجه تهماً شتى، مما أدى فى الاخير الى الحكم عليه بالسجن مدى الحياة بسبب تلك الدعوة وقد ظل مسجوناً الى ان وافته المنية رحمه الله.

وهنا نلفت انتباه القارئ الكريم الى أن احمد بن تيمية هذا كان واحداً من اكابر العلماء و كان فقيها مشهوراً بالزهد والتقوى، و يضرب به المثل فى علم الحديث و كان يلقب بشيخ الاسلام الا أنه خالف جمهور العلماء فى بعض المسائل الشىء الذى حط بدولته، الى اسفل الدرجات ولا غرابة فى ذلك فالجواد قد يكبو والسيف قد ينبو.

فقد كان من أمره انه يمنع السفر لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويحرم التوسل والاستغاثة بالانبياء والأولياء ويقول بان ذلك من الشرك بالله كما كان يطعن فى السادة الصوفية وفى اكابرهم من امثال الامام الجنيد البغدادى (المتوفى سنة ٢٩٨ هـ) وأبى يزيد البسطامى (المتوفى ٢٣١ او ٢٦١ هـ) وابن الفارض (المتوفى سنة ٦٣٦ هـ) والامام الغزالى (المتوفى ٥٠٥) و اضرابهم و كان يهاجم عليهم بافطع العبارات و يبالغ فى الرد عليهم و على منهجهم الصوفى. و ذلك ايضا هو النهج الذى سلكه خليفته محمد بن عبد الوهاب و أتباعه المعاصرون. وهناك مسائل اخرى يتعلق بعضها بالأصول وبعضها بالفروع خالفوا فيها جمهور العلماء وصاروا بها موضع الجدل و الخصومات بين المسلمين.

اما محمد بن عبد الوهاب فقد ظل هو الآخر يعانى مدة حياته حروباً حامية الوطيس بينه وبين علماء عصره الذين كانوا يعارضونه تماماً و يعتبرون دعوته من اخطر الدعوات فى تاريخ الاسلام. فقد رد عليه بعض الاساتذة والعلماء بأبلغ الرسائل و المؤلفات يحذرونه فيها من مغبة هذه الدعوة و يناشدونه التوقف عن شن هجماته ضد المسلمين الابرياء الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب والضلال.

ومن بين اولئك العلماء كبير مشائخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردى^[٢] الذى قال من جملة كلامه اليه : يا ابن عبد الوهاب اتى أنصحك الله تعالى ان تكف

(١) احمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرانى المتوفى ٧٢٨

(٢) المتوفى سنة ١١٩٤

لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به، من دون أنه فعرفته الصواب وأبى له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله فإن أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم اقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ، جَهَنَّمَ وَتِلْكَ قِصَارُ النِّسَاءِ: ١١٥) الآية من سورة النساء

«وانما يأكل الذنب من الغنم القاصية» اهـ:

وكذلك أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب الذى ألف كتابا فى الرد عليه وسماه: ب «الصواعق الالهية فى الرد على الوهابية»

وهناك مائات من الكتب آلفت كلها فى الرد عليه وعلى دعوته الوهابية ولنذكر من بينها على الخصوص:

١ - الفجر الصادق فى الرد على منكرى التوسل والكرامات والخوارق.*

٢ - جلاء الظلام فى الرد على النجدي الذى اضل العوام.

٣ - ضياء النهار لا يبطال شبه الأنوار.

٤ - الدرر السنية فى الرد على الوهابية.*

٥ - شواهد الحق فى استغاثة بسيد الخلق.*

٦ - ضياء الصدور لمنكرى التوسل باهل القبور.

٧ - السهام الصائبة لاصحاب الدعاوى الكاذبة.

٨ - النقول الشرعية فى الرد على الوهابية.*

فهذه جملة قليلة من قائمة الكتب المؤلفة قديما وحديثا فى الرد على الوهابية وعلى مبادئها الخطيرة ولم اذكر عبارات مؤلفيها رغبة فى الاختصار وخوفا من التطويل.

وبعض العلماء يسمون الدعوة الوهابية بـ «الدعوة الدموية» وذلك نظرا الى أنها متى ما دخلت فى عائلة أو فى مدينة بادرت - كما هو مشاهد - الى القاء العداوة والبغضاء بين أهلها ثم لا يلبث اويكون الخلاف فالخصومة، ثم القتال، وإراقة الدماء.

فالدعوة الوهابية معروفة بهذه الصفات ومقترنة لها منذ فجر ميلادها الى يومنا هذا والتاريخ خير شاهد على صحة ما قلناه.

ونحن لو نظرنا الى احوالنا فيما قبل السبعينات اى قبل انتشار هذه الدعوة في ربوع بلادنا ثم نظرنا الى ما هى نحن عليه الآن من التباغض والتخالف والتقاطع من جراء هذه الدعوة، لوجدنا العلماء صادقين في هذه التسمية. ويخشى لو استمر هذا الوضع - لا قدر الله - ان تندلع حروب أهلية ومشاجرات دينية لاسبيل الى التخلص منها.

وأقول فان الدعوة الوهابية مهما بلغت من خطورة في عهد زعمائها الأولين فانها اليوم - والحق اقول - قد تطورت وبلغت منتهى الخطورة في عهد أتباعهم المعاصرين. وخاصة أولئك الذين نعيش معهم في الزمان والمكان نسمع ونرى ما يقولون وما يفعلون. وانا لوائحقون من انه لو قدر للشيخ ابن عبد الوهاب ان يعود الى الدنيا ويشاهد هذه الكيفية التى عليها بعض اتباعه اليوم، لتبرأ منهم كما يتبرأ المصلح من المفسد. ذلك لانهم اتخذوا هذه الدعوة كسلاح لمحاربة المسلمين ووسيلة الى قطع الارحام والتفريق بين الأمة

هذا ولم تزل الدعوة الوهابية مقترنة بخصوماتها ونزاعاتها تقتفز من أرض لاخرى حتى وصلت الى جمهوريتنا «مالي» فتسابق اليها التجار والرعاة الذين رفعوها فوق مستواها وغروا بها الشبان والصبيان وبذلوا بكل مالههم من حول وقوة وظهروا على القضاء بما كان عليه السلف الصالح وعلى انكار اولياء الله تعالى والسادة الصوفية، ورموهم بما لا يليق للاراذل فضلاً عن الفحول الكمل افتراء على الله واساءوا بهم الأدب و نصبوا مشايخ التربية اصناما وتلامذتهم عبادا وذكروا فيهم ما أنزه قلمي عن كتابته وكفى بذلك ظلماً وزوراً، ولم يعلموا ان لحوم أهل الله مسمومة واكل السم سريع العطب وجاء في الحديث القدسي: (مَنْ عَادَى لِيْ أَوْ آذَى لِيْ وَلِيَائِي فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ) رواه البخارى وفي الحديث النبوى: (إِنَّ اللَّهَ شَرَّفَ الْكُفَّةَ وَعَظَّمَهَا وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا هَدَمَهَا حَجْرًا حَجْرًا ثُمَّ أَحْرَقَهَا مَا بَلَغَ جُزْمَ مَنِ اسْتَحَفَّ بِوَلِيِّيٍّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى)

وعن السؤال متى دخلت الحركة الوهابية الى جمهورية «مالي»؟ ومن أدخلها؟ وكيف انتشرت في مدنها وقراها؟

فالجواب: اننا لانعرف بالضبط تاريخ دخولها الى «مالى» ولا أول من أدخلها و لكننا نعرف بالحقيقة أنها انتشرت هنا بواسطة بعض التجار والرعاة وبواسطة بعض الطلبة المتوسطين ممن لاخبرة لهم بالفقه الاسلامى وانما بذهاب هؤلاء الى مكة المكرمة إما لأداء فريضة الحج أو للتعليم فى المدارس هناك وبعد عودتهم الى أرض الوطن يؤكدون لأهلهم وذويهم ولكل من يتصل بهم بأنهم قد وجدوا فى مكة المكرمة ما يخالف دينهم الذى كانوا عليه أولاً، ويلزمونهم بالتأكيد على اتباع هذا الدين وترك ما سواه ونبذ وراء ظهورهم. ويزعمون بذلك انهم خرجوا من الكفر ودخلوا فى الإسلام من جديد فيستحقون بأن يسموا أنفسهم سنيين ومن لم يوافقهم على ذلك فهو عندهم بين المشركين.

ومن هنا يشروعون فى الانكار والتغيير ويوجهون اللوم بفتاى إلى الآباء والاجداد وإلى رجال الدين وعلماء الامة ويحملونهم المسؤولية وينتالعون فى قدحهم والاعتراض عليهم وربما يصفونهم بالمشركين أو بدعيين!!

وبما ان الناس مولعون — عادة — بالشئ الجديد فان هذه الحركة قد حظيت اقبالا واسعاً لدى الاوساط العامة. ذلك لكونهم يرون ان ما يقال عن مكة المكرمة أو بالآخرى ما يشاهد فيها قد يكون هو الدين القيم وما عداه هو الضلال البعيد.

وفوق ذلك كله فليس من المفروض شرعاً ان يقتدى جميع المسلمين بأهل مكة بحيث تكون مخالفتهم فى بعض المسائل الفقهية خروجاً عن الدين الاسلامى. فالمسلم حر فى اقتداء أى مذهب من المذاهب الاربعة شاء، وهو حر فى أخذ اية طريقة من الطرق الصوفية أراد، فلا ذنب عليه فى ذلك ولا عيب

الحركة الوهابية وتأثيرها في المجتمع

ان تأثير الحركة الوهابية في مجتمعنا الوطنى لأمر يبعث الى القلق ويهدد مستقبل المواطنين و ذلك لمنعها اياهم التمتع بحسن الجوار واحترام بعضهم بعضا.

وقد ظهر للعيان توتر العلاقات الاخوية و قطع الوفاق بين ذوى القربى و اولى الارحام كما شوهد تغير الاحوال الاجتماعية من حسنة الى سيئة و من سيئة الى أسوأ نتيجة لانفجار الثورة الوهابية فى الآونة الاخيرة، وليس من السهل التغلب على هذه الظروف الحرجة التى نعانىها فى الوقت الحاضر، و التى اخذ يفر فيها المراء الوهابي من اخيه الغير الوهابي بل و من أبيه و امه و كل أصحابه يفر منهم فى حين لا ذنب لهم سوى انهم انخرطوا فى سلك السادة الصوفية أو رفضوا التعصب للدعوة الوهابية.

فالقادة الوهابية فى هذا البلد مازالوا مصممين على أن من لم يكن وهايبا فهو مشرك يجب هجرانه ولا يجوز التعامل معه فيما يخص الدين أو الدنيا.

و على هذا يمكن القول بان الدعوة الوهابية - اذا كانت هذه شأنها - فهى متمسكة بأفكار خاطئة و مزاعم باطلة لا تتفق و الحقيقة الواقعة. فلو نظرت بشئ من التأمل الى قادة هذه الطائفة ثم قارنت بين أقوالهم و أفعالهم علمت يقينا بان لهم اهدافا و غايات تدفعهم الى التوسع فى قذح اعراض المسلمين و هتك حرمتهم و الاعتداء عليهم بالظلم و العدوان.

فمن اهدا فهم: التفريق بين الامة الاسلامية لينتهزوا فرصة تضليل العوام و استغلالهم باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية.

اما الغاية التى يسعون الى تحقيقها هى اثبات السنية لهم خاصة، و تكفير جماعة المسلمين من غيرهم،

و هذا ان دل على شئ فإنما يدل على سوء الظن بالمسلمين او عدم معرفة الاسلام بالوجه الذى حدده الرسول عليه السلام و معلوم انه صلى الله عليه وسلم كان قد سئل عن الاسلام فأجاب: (هُوَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتَقِيَمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ

الزَّكَاةَ وَنُصُومَ رَمَضَانَ وَتَخُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) أخرجه الترمذى

ومن هنا نتحقق خطأ أولئك الذين يكفرون المسلمين عمداً أو جهلاً بعد ما بين الرسول عليه السلام ما يجعل المرء مسلماً وبعد ما نهى عن تكفير المسلم.

والادلة الواردة للرد على مزاعمهم أكثر من ان تعد أو تحصى. فقد منع الرسول صلى الله عليه وسلم تكفير المسلم في عدة أحاديث منها: قوله عليه السلام: (إِذَا قَالَ الْقَرْءُ لَأَخِيهِ يَا كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَخُذُهُمَا) رواه مالك و البخارى و الترمذى

وقوله: (لَا يُكْفَرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْيَبَلَتَيْنِ) وقوله: (أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ غَضَمُوا بَيْنِي دِمَاءَهُمْ وَأَفْوَالَهُمْ إِلَّا فِي حَقِّ الْإِسْلَامِ. وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) رواه البخارى و مسلم وقوله عليه السلام: (الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ مَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ) رواه البيهقى وقوله: (مَنْ كَفَرَ مُسْلِمًا فَقَدْ كَفَرَ) الى غيره من الأحاديث المتواترة فكل واحدة من هذه الأحاديث تقتضى بأن لا يكفر المرء مسلماً مهما اغترف من ذنب

ونحب نتعجب كيف يتجاهل الوهابيون كل هذه الحقائق النبوية؟ وكيف يسمهم مخالفة الرسول في التمييز بين المسلم والكافر؟ وقد قال تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ قَصِيرًا) النساء (١١٥)

هذا لقد علمنا بمقتضى الأحاديث الآتفة الذكر بأنه لا يجوز تكفير المسلم الذى يؤمن بالله ورسوله ويؤدى قواعد الاسلام الخمس على الوجه المشروع.

فإذا كان العلماء قد أجمعوا على ان الكافر اذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة قد دخل فى الاسلام، له ما للمسلمين من حقوق و واجبات. فكيف بمن ولد فى الاسلام ونشأ فيه ورضى به ديناً وهو يكرر هذه الكلمة فى اليوم أكثر من مائة مرة؟ فكيف يجوز تكفيره؟ مع العلم بأن الناطق بالشهادتين — فى حكم الشريعة الاسلامية — يعتبر مسلماً بغض النظر عن خفايا قلبه فبعلم ذلك يخص الله وحده وجاء فى اسهل المسالك قوله: (وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى غَمِي... كُلُّ امْرِئٍ إِيمَانُهُ كَالِدَرَةِ)

وقال شراح هذا البيت: يجب الايمان بأن رحمة الله تعالى تعم كل أحد مات من

الانسان والجن ولم يكن له عمل صالح سوى الايمان بالله فقط...
ثم نتساءل اذا لم تكن القواعد الاسلامية الخمس تمييزاً للمسلم إذن فأين يوجد
المسلم؟ وما الذى يجعل المرء مسلماً؟ وما هى علاماته ومميزاته؟
فعلى القادة الوهابية ان يفهموا بأنهم مخطئون فى هذه الناحية وعليهم ان يتراجعوا
عن هذه المعتقدات الفاسدة، وان يفهموا بان الاسلام ليس ملكاً لأيمانهم فيدخلون فيه من
يريدون، او يخرجون منه من يشاؤون. فليتحققوا بأن الاسلام إنما يسير دائماً على نهجه
الواضح المستقيم وعلى حسب البرنامج الذى وضعه الشارع الأمين صلى الله عليه وسلم
الذى هو لا ينطق عن الهوى.

ولا يخفى على احد منا موقف الوهابيين المتصلب المعارض لجمهور العلماء و
المتمثل فى الشعارات المضللة والدعايات الكاذبة. هبهم خاطئين حين زعموا ان الناس
جميعاً قبل هذه الدعوة كانوا على ضلال ومعصية. وأنها هى الدعوة الوحيدة التى تعنى
بإحياء السنة النبوية والمحافظة على التوحيد. عفا الله عنهم من هذه المزاعم اللاحقية
التي لا حجة لهم بها ولا اساس لصحتها.

فنحن نستغرب جداً كيف تصور لهم أوهامهم هذه المزاعم العقيمة؟ فمن أين
لهم تضليل الأمة الاسلامية جميعها أو تكفيرها مالم تعتقد العقيدة الوهابية؟ فكيف حال
الامة فى نظرهم قبل ميلاد الزعيم الوهابى وقبل انتشار دعوته الحديثة؟ فهل الشيخ ابن
عبد الوهاب هذا الاكواحد من افراد البشر يصيب ويخطئ؟ أم هو فى عداد المعصومين
من الأنبياء والمرسلين؟ وهل من العدالة ان نصدقه هو بمفرده ونبعده ثم نكذب غيره من
اكابر العلماء وجهابذة الفقهاء؟

فهذا أمر لا يمكن — فى اعتقادى — ان يقبله عقل مفكر مهما كان صاحبه غارقاً
فى بحر التعصب، وكيف ما كان مغروراً...

وعلى ضوء هذه الحقائق فإن اقرب دليل للرد عليهم وعلى احباط مزاعمهم قوله
عليه الصلاة والسلام: (لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ) اخرجته الترمذى عن ابن عمر وقوله:
(لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ) رواه الحاكم.
ومن اعظم خطيئهم بعد تكفير المسلمين إنكارهم على اولياء الله وكراماتهم مع

أنهم يصدقون بالاختراعات العصرية كالاذاعات والتلفزات والصواريخ و الهواتف السلكية واللاسلكية وغيرها من الآلات الكهربائية التي تحير العقول ، والتي لم يكن الانسان الاول يحلم بها ولا يكاد يصدق بإمكان وجودها فهلا يؤمنوا بأن الذي اعطى للعقل البشرى المهارة على اختراع هذه الاشياء العجيبة، قادر على ان يعطى لأوليائه من الكرامات و خوارق العادات ما لا يدركه الفهم ولا يصل إليه القياس. وهو سبحانه و تعالى (فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ* البروج :١٦) و(وَلَا يَسْتَلْ عَمَّا يُفَعَّلُ* الانبياء :٢٣)

و على الرغم من ثبوت هذه الادلة فهناك جماعة غير قليلة من الوهابيين ينكرون على اولياء الله و كراماتهم و يرفضون حصول الكرامات و الخوارق لهم، زعما بأن مثل هذه، انما يحصل للأنبياء خاصة دون غيرهم من أفراد البشر، وينزلون هذه الكرامات و الخوارق، منزلة السحر أو الكهانة. ولهم في ذلك اقوال اعتذر عن حكايتها مراعاة للادب و لعدم مناسبتها لحضرة أولياء الله تعالى اللهم الا ان أقول ساعنا الله و إياهم، و أقال عثرائنا. وعثرائهم ولا يدري هؤلاء المقصرون بأن ما جاز للنبي معجزة يجوز للول كرامة و أن كرامات الاولياء و خوارقهم ثابتة في الكتاب و السنة. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في عدة مواضع. منها قوله عز وجل في الاخبار عن السيدة مريم رضى الله عنها: (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا* آل عمران :٣٧) و كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء و فاكهة الشتاء في الصيف. وقوله لها: (وَهَؤُلاءِ إِلَيْكَ يَجِدُ النَّخْلَةَ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا* مريم :٢٥) و كما ذكر القرآن قصة المرسلين الذين أرسلهم نبي الله عيسى عليه السلام الى أهل انطاكية ليدعوهم الى عبادة الله فصاروا يبرؤن الأكمة والأبرص و يحيون الموتى بإذن الله و ذلك كرامة لهم و معجزة لنبيهم عيسى بن مريم عليه السلام [١] و قد بين كتاب الله العزيز كثيرا من الكرامات و الخوارق التي وهبها الله لبعض أوليائه و خصائصهم العلمية و العملية.

و منها ان نبي الله موسى كان تلميذاً للسيد خضر عليهما السلام و كان قد استصحبه مدة من الزمن ليستفيد منه بعض العلوم. (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبَعْتُ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا* الكهف : ٦٦) و أن آصف بن برخيا أحضر لنبي الله سليمان

(١) و ذلك عند قوله تعالى (واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون* يس :١٣)

عليه السلام عرش بلقيس في أقل من طريقة العين وقد كان الهدهد يذله على الماء.

فكل هذه كرامات و خوارق أثبتها الكتاب الكريم بحيث لا يمكن انكارها و لكن مع هذا كله فلا يقتضى ثبوت هذه الكرامات أفضلية الأولياء على الأنبياء - كما يتوهم بعض الجاهل - بل هي مئة من الله بها عليهم بصورة المزية ولا يستغرب ذلك فقد يوجد في النهر ما ليس في البحر وقد اقتضت حكمة الله تعالى ان يكون للمفضول ما ليس للفاضل. و معلوم أن نهاية مراتب الأولياء هي بداية مراتب الأنبياء فلا مطمع للولى أن يصل الى غبار النبي فضلا عن أن يماثله او يفضل منه. و لكن فمن الواجب علينا ان نحترم أولياء الله تعالى و نصدق كراماتهم و نعلم بأن الذي أيد الأنبياء بالمعجزات هو الذي أيد الأولياء بالكرامات فالكرامات فروع من معجزات الانبياء فكل كرامة نالها ولى انما هي من معجزات نبيه وكذلك كرامة أولياء هذه الامة فهي من معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولذلك كان انكار الكرامات انكارا للمعجزات و انكار المعجزات تكذيب للرسول و هو من الكفر الصريح و العياذ بالله. فلا ينبغي للمسلم - والحال هذه - أن ينكر على كرامات الأولياء مهما بلغت لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا اعتراض ولا شك أن الجهل خير من علم يؤدي الى انكار أولياء الله و كراماتهم.

فكل ما نحذر اخواننا المسلمين عامة، و الوهابيين خاصة، أن يكفوا عن أذية أهل الله و أكل لحومهم. و ان لا يبادروا الى معارضتهم في أية مسألة من المسائل الفقهية لكونهم أجدر من أن يكونوا على حجة و بصيرة مما هم فيه ولو انه مخالف للظاهر و قد قيل: (فَسَلِّمْ لِأَهْلِ اللَّهِ فِي كُلِّ مُشْكِلٍ .: لَذَلِكَ لَدَيْهِمْ وَاضِحٌ بِالْأَدِلَّةِ)

هذا ولا يجوز لأحد مهما كان عالما ان ينكر الشيء على اساس عدم وجود ذلك في علمه، لان جوامع العلوم لم تتوفر لاحد سوى الرسول صلى الله عليه وسلم.

و انما الواجب عليه قبل الشروع في الانكار ان يعرضه على طرق الشريعة كلها و التى اشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (إِنَّ شَرِيعَتِي جَاءَتْ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَ سِتِّينَ طَرِيقَةً مَا سَلَكَ أَحَدٌ مِنْهَا طَرِيقَةً إِلَّا نَجَا.)

فإن لم يعرضه على هذه الطرق أولم تكن له معرفة بها أصلاً، ففي إنكاره خطر عظيم. وقال العارف بالله: [١]

وقال آخر: وَقُلْ لِمَنْ يَدْعِي عِلْمًا وَمَعْرِفَةً
حَفِظْتُ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

وبستفاد من الحديث المذكور انه لا يجوز اتهام المسلم العارف ولا إنكاره مالم يخالف طرق الشريعة كلها، كما فعل ذلك عبد الرحمان الافريقى، الذى سولت له نفسه الامارة بالسوء أن يؤلف كتابا فى التقد على الطريقة التجانية والهجوم على شيخنا وسيلتنا الى ربنا أبى العباس أحمد بن محمد التجانى^[٢] وعلى خليفته المجاهد فى الله الشيخ الحاج عمر الفتوى رضى الله عنهما وقد سمي كتيبه هذا: بـ «الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التجانية» وهو مطبوع يوزع مجاناً الى كل من يريده من المعارضين والمنتقدين لذلك يسعى الوهابيون للحصول عليه ليزدادوا بغضا وحقدا للسادة الصوفية بصورة عامة و للتجانين بصورة خاصة...

وانا شخصيا لن اهاجم على عبد الرحمان الافريقى ولا أنتقم منه لعلمى بأنه إنما يحارب الله ورسوله بمعاداته لأولياء الله وأصقيائه. بدليل قوله تعالى فى الحديث القدسى: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ) رواه البخارى. وخصوصا هذا الولي الربانى والعارف الصمدانى الشريف الحسنى احمد بن محمد التجانى رضى الله عنه وارضاه الذى هو يعتبر واحداً من أبرز علماء الاسلام وعلماء من اعلام الشريعة والحقيقة. فشرفه الدينى والنسبى، وتاريخه الحافل بالنشاطات الدينية والتوجيهات الربانية بالاضافة الى مرتبته الموهوبة والمكسوبة يغنينى عن الدفاع عنه والاحتجاج له فمناقبه رضى الله عنه ومواقفه واضحة ولا تحتاج الشمس الى دليل.

اما إنكار عبد الرحمان الافريقى على الطريقة التجانية ومبالغته فى النقد عليها وعلى خاصة أصحاب الشيخ رضى الله عنهم فهو كما قيل: «وَإِذَا أَنْتَكَ مَذْمُومٌ مِنْ نَاقِصٍ» فهى الشهادة لى بأننى كآميل» او كقول الامام البوصيرى رضى الله عنه. «قَدْ تُنْكَرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ» وَتُنْكَرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ تَقَمٍّ

هذا وتوفى لدى الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه شواهد الكمالات الحسية و

(١) هو السيد الحاج مالك س رضى الله عنه فى كتابه فاكهة الطلاب ...

(٢) المتوفى ١٢٣٠ هـ.

المعنوية وحسبه فخرا كونه بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن فيه غير هذا التعريف الذهبي لكفى.

فمن كانت هذه سيرته وهذا تعريفه لا يمكن لعبد الرحمان الافريقى وأمثاله ان يدنسوا عرضه او يشوشوا سمعته ولا يتضرر القمر بنباح الكلاب

وأعرف يقينا بأن تأليفه لهذا الكتاب سيمثل له كالباحث عن حفته بظلفه، و أنه سيحاسب عليه لما فى الحديث: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَقَلْبُهُ وَزَرُهَا وَوَزُرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

وهذه المؤلفة من أسوأ المحدثات لما فيها من المنشورات الفظيعة والعبارات الشنيعة الموجهة مباشرة إلى الشيخ أحمد التجانى، وإلى الشيخ الحاج عمر الفتوى رضى الله عنهما. والتي تهدف إلى تشويش سمعة الطريقة التجانية وإلى تجميدها وتحريفها عن موضعها.

وإذا كان هذا التأليف لا يأمرنا إلا بترك الطريقة التجانية التي مدارها الاستغفار، والهيللة، والصلاة على النبی. ولا ينهانا إلا من محبة السادة الصوفية وموالات أولياء الله تعالى. فما الفرق - يا ترى - بين هذا المؤلف المسبوق وبين أولئك الذين يأمرون بالمتكرو وينهون عن المعروف..

وهناك من الوهابيين من اعرف أسماءهم وألقابهم يأخذون «كتاب جواهر المعانى» إلى الاسواق وإلى أنديتهم العامة رغم مستواهم السافل في العلوم والثقافة فيشرعون في مطالعته، جاهلين أو متجاهلين عن مستوى هذا الكتاب الرفيع وينظرون إليه بعين الانكار والنقد والاستهزاء ويؤولون عباراته بأقبح التأويلات حين لا يعرفون أن لأولياء كلاما لا يقههم إلا الخواص ورحم الله من قال:

«كَلَامُ الْأَوْلِيَاءِ لَسْتُ أَفْهَمُ» لَا نَنْبَى أَنَا أَنَا وَهُمْ هُمْ»

و يقول هؤلاء في الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه - على مرأى ومسمع من الناس - ما هو بريء منه. ويخوضون في قدح عرضه، وهتك حرماته ما أمكن لهم الخوض ويتنافسون في ذلك حسب وقاحتهم وعنادهم ويمكرون به، وبطريقته ويمكرون بالله بهم وهو خير الماكرين وهكذا شاءت الإرادة الالهية ان يكون لأولياء الله في كل زمان ومكان

أعداء يتحزبون ضدهم و يتأمرؤن - ليطفئوا نور الله بأفواههم - ويقولون في حقهم منكراً من القول وزوراً و يأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره متأمرؤن.

وقد كانت لهذه الفرقة المتطرفة اليد الطولى في هذا المضمار لما جيل أفرادها من الشغف للطعن بأولياء الله و قدح اعراضهم و هتك حرمتهم و إساءة الأدب بهم بصفة لا مبرر لها ولم يسبق لها مثيل.

الوهابية و منعها التوسل بالأنبياء و الصالحين

قبل الشروع في تفاصيل هذا الموضوع و البحث عن أحكامه و أهدافه يجب أن نعرف أولاً أنه هو الموضوع الرئيسى الذى يمثل جوهر المشكلة و لب الخلاف بين الوهابيين المتطرفين و المسلمين المعتدلين. ذلك لأن الوهابيين يمنعون التوسل بالأنبياء و الأولياء و الصالحين و يبالغون في نفيه و انكاره بل و يحرمونه اطلاقاً و يزعمون انه من الشرك بالله. و يحملون جميع الآيات القرآنية النازلة في المشركين و من يعبدون الأصنام على المتوسلين و المستغيثين بالأنبياء و الصالحين. فمن هذه الآيات قوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ قِيَامَةً وَهُمْ عَنْ دَعَائِهِمْ غَافِلُونَ * الاحقاف ٥) و قوله جل شانہ: (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا * الجن: ١٨) و قوله: (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالًا بِتَفَعُّكِ لَا يَصُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ * يونس: ١٠٦)

و يزعمون أن كل من استغاث بالنبى صلى الله عليه وسلم أو توسل به أو بغيره من الأنبياء و الأولياء و الصالحين أو ناداهم أو سألهم الشفاعة يكون معدوداً في جملة هؤلاء المشركين و داخلًا في عموم وعيد هذه الآيات. و هو عندهم بمنزلة من يعبد الأصنام، و يتخذ من دون الله شركاء. و من هنا ثارت ثائرة العداوة و الخلافات و قامت القيامة بين أفراد المسلمين و جماعاتهم بصفة لا يمكن تسويتها طالما يُصر الوهابيون على هذا الموقف المتطرف المتمثل في تضليل الأمة أو تكفيرها و المتعارض لنصوص الكتاب و السنة و الاجماع.

والوهابيون — في هذا التأويل البعيد — معذرون من حيث الخطأ في فهم معنى كلمة «الدعاء» التي تأتي حيناً بمعنى العبادة وأحياناً بمعنى النداء وظنوا أن هذه الكلمة في جميع هذه الآيات وما أشبهها معناها النداء لا غير. ولذلك يجرمون نداء غير الله كما تحرم العبادة من دونه تعالى. وحيث ذهبوا هذا المذهب ووقفوا عند هذا الحد فهم مقصرون عن ادراك كنه هذه الكلمة لغةً واضطلاحاً فيجب أن نعذرهم أو ننذرهم.

و كلمة الدعاء في اللغة العربية لفظ مشترك بين عدة معان:
 منها: العبادة كقوله تعالى: (أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً * الجن: ١٨)
 ومنها: النسبة كقوله تعالى: (ادعوهم لآبائهم * الاحزاب: ٥) أى انسبهم اليهم
 ومنها: السداء كقوله تعالى: (وادعوا شهداءكم من دون الله * البقرة: ٢٣) أى نادوهم

ومنها: السؤال كقوله تعالى: (ادعوني استجب لكم * المؤمن: ٦٠) أى إسألوني
 ومنها: الدعوة الى الشيء كقوله تعالى: (ادع الى سبيل ربك بالحكمة * النحل: ١٢٥) الآية
 ومنها: التمنى كقوله تعالى: (ولهم ما يدعون * يس: ٥٧)
 ومنها: القول كقوله تعالى: (دعواهم فيها سبحانك اللهم * يونس: ١٠)
 ومنها: التسمية كقوله تعالى: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً *
 النور: ٦٣)

وليس في القرآن الكريم ولا في اللغة العربية ان كلمة الدعاء تأتي بمعنى التوسل و قد تحقق أن معنى التوسل غير معنى العبادة لغة و شرعاً. ولا سبيل إذاً الى تكفير المسلمين المتوسلين بجاه الصالحين بالقياسات الفاسدة اهـ فتأمل.
 و كلمة «الدعاء» في جميع هذه الآيات الآنف الذكر وما أشبهها معناها العبادة لا النداء.

ولا يخفى أن نداء غير الله تعالى كنداء الانسان حياً أو ميتاً يجوز شرعاً و ضرورى ايضاً لتعلقه على الحوائج الشرعية و المعاملات الدينية و الدنيوية و قد جاء نداء الأموات من الاحاديث الواردة في زيارة القبور كقول الزائر: (السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّا أَنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَا جُحُودَ) ففى هذا النداء للأموات

خطابهم. وإنما يجب ان نميز بين كلمة «الدعاء» التى بمعنى العبادة التى بمعنى النداء، كيلا نضل ولا نُضل...

اما التوسل فجائز شرعا ومرغوب فيه أيضا لانه من فعل الأنبياء و السلف الصالحين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين.

وقد توسل ابونا آدم بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما فى الحديث: (لَمَّا افْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ يَا رَبِّ اَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا مَا غَفَرْتَ لِي فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ كَيْفَ عَرَفْتُمُ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ قَالَ يَا رَبِّ إِنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتَ رَأْسِي رَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِسْمَكَ إِلَّا أَحَبَ الْخَلْقِ إِلَيْكَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لأَحَبُ الْخَلْقِ إِلَيَّ وَإِذَا سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ) رواه الحاكم وصححه الطبرانى.

والى هذا الحديث أشار الامام مالك رضى الله عنه للخليفة المنصور لما سأله وهو بالمسجد النبوى فقال لمالك يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعو؟ فقال له الامام مالك رضى الله عنه ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله فيك...

وأما صدور التوسل من النبى صلى الله عليه وسلم فقد صح فى احاديث كثيرة منها قوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ)

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على ابن أبى طالب رضى الله عنهما الحدها صلى الله عليه وسلم فى القبر بيده الشريفة وقال: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مَدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)

وكان الصحابة يتوسلون برسول الله فى حياته وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم. وقد روى البيهقى وابن ابى شيبة باسناد صحيح: ان الناس اصابهم قحط فى خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضى الله عنه الى القبر الشريف وكان من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فاتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام واخبره انهم يسقون وكان كذلك.

فإتيان هذا الصحابي الجليل الى القبر الشريف ونداءه للرسول عليه السلام ليطلب منه ان يستسقى لامته فهو دليل آخر على أنه جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وذلك من اعظم القربات وروى عن أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب وقال: «اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا» قال فيسقون انتهى وفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حجة على التحقيق لقوله صلى الله عليه وسلم في حقه: (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمرَ وَقَلْبِهِ) ومما ذكر في هذا الباب دليل على ان التوسل بالأموات وخاصة عند أضرحتهم جائز لفعل بلال بن الحارث رضى الله عنه ذلك، عند القبر الشريف.

وكذلك التوسل بغير الأنبياء جائز هو أيضا لموافقته، بفعل سيدنا عمر بن الخطاب. الذى توسل الى الله بسيدنا عباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه ... ومن ادلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضى الله عنه التى رواها الطبرانى فى الكبير وفيها ان سواد بن قارب أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة قال فيها:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنْتَ أَذْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيْلَةٌ
وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطْلَابِ
وَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَا دُورَ شَفَاعَةٍ
بِمُغْنٍ فَتِيلاً سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ»

فلسم ينكر عليه رسول الله قوله أذننى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لى شفيعا. و كذلك من أدلة التوسل مرثية صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها عمة رسول الله فانها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات قالت فيها:

«أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ رَجَاؤُنَا
وَكُنْتُ بِنَا بَرّاً وَلَمْ تَكْ جَافِيَا»

ففيها النداء بعد وفاته ولم ينكر عليها أحد من الصحابة قوله يا رسول الله أنت

رجاؤنا. وقد ذكر العلامة ابن حجر^(١) في كتابه المسمى بالخيرات الحسان ان الامام الشافعى كان يتوسل بالامام ابى حنيفة رضى الله عنهما وقد ثبت ايضا ان الامام احمد بن حنبل كان يتوسل بالامام الشافعى وقد صح ان الشافعى رضى الله عنه توسل بأهل البيت النبوى بأبيات قال فيها:

«آلُ النَّبِيِّ ذَرِيعَتِي أَرْجُو بِهِمْ أَغْطَى غَدَاً
هُمُ إِلَهِهِ وَسَيْلَتِي يَتَذَرُّ الَّتِيْمِيْنَ صَحِيفَتِي»

فكل هذه توسلات صريحة صدرت بعضها عن رسول الله عليه وسلم وبعضها عن أصحابه الكرام وعن الأئمة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وليس في ذلك كفر ولا اشراك ومن تتبع أذكار السلف الصالحين وأدعيتهم وأورادهم وجد فيها شيئا كثيرا من التوسل ولم ينكر عليهم احد في ذلك حتى جاء هؤلاء المنكرون الذين عمدوا الى تحريمه وتوصلوا بذلك الى تكفير أكثر الأمة من العلماء والعباد والزهاد وقالوا انهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا (ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى * الزمر: ٣) «سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ!»

وحاصل شبهة هؤلاء المانعين للتوسل انهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم انهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الأولياء — احياء وأمواتا — اشياء جرت العادة بأنها لا تطلب الا من الله تعالى ويقولون للولى مثلا: افعل لى كذا وكذا او تجنى من كذا وكذا فأراد هؤلاء المانعون للتوسل ان يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للإيهام وسدا للذريعة.

نعم نحن نوافق مع هؤلاء المانعين في ناحية ونؤيدهم على منع العامة من تلك التوسعات المتطرفة ونقف بجانبهم في سد ذرائع الفساد ودفع الإيهام. ولكن من ناحية اخرى نقول لهم:

اذا كان الأمر كذلك وقصدكم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم؟ وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا؟ بل كان ينبغى لكم أن تمنعوا

العامّة من تلك الألفاظ الموهمة و تأمرهم بسلوك الأدب في التوسل دون تكفيرهم أو إشراكهم مع الله تلك الألفاظ يجب حملها على المجاز العقلي وهو جائز ومستعمل على السنة جميع المسلمين و وارد في الكتاب العزيز و السنة المطهرة. الا ترى انه يجوز لأحدنا ان يقول أعطاني فلان كذا و منعتني فلان عن كذا، او تمنى زيد أو صرنى عمر، مع العلم بان الله تعالى و تعالى وحده هو الضرر و النافع و هو المعطى و المنع فإسناد هذه الأفعال الى غير الله تعالى يعتبر مجازاً عقلياً لا يؤدي بقاله الى الكفر ولا الى الشرك و له شواهد كثيرة في الكتاب و السنة منها قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْهُمْ الشَّامِرِيُّ﴾ طه: ٨٥ و قوله: ﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ الْجَالُوتَ﴾ البقرة: ٢٥١ فإسناد الاخلال و القتل هنا الى الشامري و الى داود مجازي. و لا، قال الله تعالى وحده هو المفضل و المبت و جاء في الحديث كما في صحيح البخاري في مبحث الحشرو و عرف الناس للحساب يوم القيامة: ﴿بَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِسْتَعَاثُوا بِآدَمَ ثُمَّ يُمُوسَى ثُمَّ يُحْتَمَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ فإسناد الاستغاثة الى هؤلاء الأنبياء مجازي و المستغاث به حقيقة هو الله تعالى وحده.

فهذه كلها أدلة ثابتة و براهين قاطعة لجواز التوسل و الاستغاثة بالأنبياء و الأولياء و الصالحين، و فيها الكفاية لمن اراد الله له الهداية و التوفيق و أما من انطلمعت بصيرته و اندت حواسه، فما تغني عنه الآيات و النذر ولا يفيد العظة و التذكير.

و نحن في توسلنا يا أنبياء و الأولياء لا نعتقد انهم يستحقون العبادة ولا انهم يخلقون شيئاً او يملكون ضرراً أو نفعاً ولا نعتقد أن لهم تأثيراً في شيء من الأشياء و كلما هنالك بيننا و بين الأولياء إنما هو احترام فقط غير خارج عن حدود مرتبة المخلوق الموجود العدم و العائد الى الفناء. لا كتعظيم الخالق المعبود الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد. فندأونا بهم لا يعني سوى التبرك بأسماهم، و الاستئناس بذكرهم لكونهم عباداً مكرمين، اصطفاهم الله و هداهم، و خصهم بحظوة من عنايته الربانية، و فيضة من تفحاته الرحانية، فبذكرهم تنزل الرحمت. و به تحيي القلوب و تنشط العضلات.

و هذه هي غاية ما نقصد في التوسل بالأنبياء و الصالحين وليس فينا من يركع او يسجد لشيء، أو لولي، أو لشيخ، و لكننا لا نعبد الا الله ولا تدعو الا اليه. و في الحديث: ﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِخَلْقٍ امْرِيٌّ﴾ قاتولي، و نحن نحمد الله تعالى من المؤمنين

الموحدين بكل ما للكلمة من معنى.

فالتوحيد عقيدتنا والعمل به، شريعتنا فلن نحيد عن عقيدتنا ولن نهين بشريعتنا. (وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ يوسف ٣٨) اما اولئك الوهابيون الذين يتظاهرون بالذب عن التوحيد و يجوزون التوسل بالأحياء والاستعانة بهم في أمر من الامور الدنيوية و يجرمون ذلك في الأموات قد دخلوا في الشرك من حيث لا يشعرون لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات مع أنه لا تأثير لاحد في الحقيقة حياً كان او ميتاً وإنما المؤثر الحقيقي هو الله تعالى وحده...

فلينتبه الوهابيون لهذه الحقائق وليعلموا أن ليس في هذه التوسلات ما يستلزم تكفير المسلم، الذي يشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله. ولمزيد من التوضيح في هذا الموضوع فإن منكرى التوسل بالانبياء والصالحين قد لا ينكرون على مناسك الحج التي فرضها الله علينا والتي من بينها: الطواف بالبيت العتيق وتقبيل الحجر الاسود والسمي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفات.

و معلوم ان هذه الاشياء ليست إلا جمادات لا تضر ولا تنفع ولكن قد شرفها الله تعالى وعظمها وأمرنا كذلك بتعظيمها والتبرك بها والدعاء عندها بجميع حوائجنا الدنيوية والاخرية.

ونحن نعلم علم اليقين بأنها لا تأثير لها في قضاء الحوائج ولا قدرة لها على صرف الاقدار ولكن هل يقال ان من قصدها أو تضرع لديها قد كفر بالله أو اشرك به؟ لا! ولا كلا!

فاذا كانت الجمادات قد حازت هذه الفضائل بمحض فضل الله وإرادته فكيف بأنبياء الله وأوليائه، الذين هم سادة الخلق وقادة الانام فعند ذكرهم تنزل الرحمت و بسبب وجودهم ترفع النقمات.

هذا ومن الخطأ الواضح ما زعمه الوهابيون وعقدوا عليه العزم وهو ان نداء الانبياء او الأولياء نوع من انواع الشرك لانه نداء لغير الله ويقولون بأن ظاهر النداء لا بد و ان يدل على ان المناذرى يعتقد من المناذرى به القدرة او التأثير. وحينئذ فاعتقاد القدرة او

التأثير من احد غير الله تعالى شرك لاحالة.

نعم قد يكون هذا الرأي الخاطئ وهو الآخر من جملة أوهامهم التي خالفوا بها الاجماع. ولكن لو استسلمنا بحكم هذه القاعدة فلسوف نجد ان ظاهر الصلاة والصيام والنطق بالشهادتين يدل هو ايضا على الايمان بالله والتصديق بما جاء به الرسول الكريم. و إذن فما بال هؤلاء الوهابيين الذين قرروا ان يكفروا المسلمين بظاهر النداء، وقد عجزوا ان يعترفوا لهم الاسلام بظاهر الصلاة والصوم والنطق بالشهادتين. فهل هذا — ان صح التعبير — إلا نوع من الجمود. أو أثر من آثار الجهل الذي هو أشد من الكفر...

و خلاصة الكلام: فان المحذور شرعا في التوسل هو اعتقاد التأثير من احد غير الله تعالى كائنا من كان وهو شرك اتفاقا سواء كان ذلك الاعتقاد في نبي أو ولي أو صالح أو حيوان أو جاد أو في أى شيء كائن ما كان وأما من لم يعتقد التأثير في احد غير الله تعالى فلا إثم عليه وليس في مجرد التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين ضرر مادام الاعتقاد سالما.

اما محبة أولياء الله تعالى والصالحين وصحبتهم لله والتصدر لخدمتهم والتادب لهم والتبرك بهم فكلها جائز لا يمنعها الشرع بل يأمر بها ويحث عليها لانها من اعمال البر الموجبة للفوز والسعادة في الدارين. ولا ينكر ذلك منكر لثبوتها بالأدلة العقلية والنقلية المتواترة. وأصدقها قصة كلب أهل الكهف الوارد ذكرها في القرآن الكريم... وإن شئت فاقرا قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) (الكهف: ٩)

فإن هذا الكلب لم يصل الى هذه المرتبة إلا بصحبة الصالحين ومحبتهم لقد احسن من قال:

«وَ اخْتَرْنَا مِنَ الْاِخْوَانِ كُلَّ مُهْتَدٍ «وَصُحْبَةُ الْاِخْيَارِ يَلْقَابُ دَوَا
إِنَّ الْقَرِيبِينَ بِالْقَرِيبِينَ يَفْتَدِي» تَزِيدُ فِي الْمَرْءِ نَشَاطًا وَقُوًى»

واخيراً نحتسب هذا الموضوع بتجذير أولئك الذين يكفرون التوسلين والمستغِيثين بالأنبياء والصالحين ان يكفوا عن ذلك لانه قد يفضيهم الى ارتكاب الذنوب ويؤدي الى

تكفيرهم لجميع الامة او اكثرها وهو مستحيل لقوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ * آل عمران: ١١٠) الآية من سورة آل عمران ولقوله عليه الصلاة والسلام:
(لَا تَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ) حديث شريف أخرجه الترمذى

ما هو الشرك؟ وكم أنواعه؟

الشرك هو الاعتقاد بقلبه ان هناك احدا يستحق العبادة من دون الله تعالى او
هناك من يشارك الله في الالهية او يساعده في الابدان والتأثير.

ومن الشرك أيضا الاعتقاد بقلبه ان هناك من يملك لنفسه او لغيره جلب المنافع او
دفع المضار أو هناك من يمكن له التصرف في الامور والتأثير في الكائنات من تلقاء نفسه.
ومهما اعتقد المرء شيئا من هذه المذكورات في واحد من المخلوقات، سواء
اعتقدها في نبي او في ولي او في شيخ او في حيوان أو في جماد كان مشركاً حقا بالاجماع.
لأن المخلوقات كلها على اختلاف أشكالها وتنوع اجناسها لا تستحق العبادة مطلقا وهي
لا تملك جلب المنافع ولا دفع المضار ولا قدرة لها على التأثير في حد ذاتها فاعتقاد ذلك على
أى مخلوق، آدمى كان او غيره هو الشرك الأكبر وهو الكفر الصريح.

هذا وليس من المستحيل ولا من الغريب ان يقع بعض الناس غير المعصومين في
اودية الكفر والضلال بينما ينهمك البعض الثاني في المعاصي والمنكرات حين يتقيد
البعض الآخر بالشرعية الاسلامية والسنة الغراء.

ولا تستغرب هذه الاتجاهات المختلفة والظواهر المتضادة بين أفراد المسلمين و
جماعاتهم لان الله تعالى قد خلق الناس وهم مختلفون في الذكاء والغباء والضعف و
القوة ومتفاوتون في الجهل والعرفة والاجتهاد والتقصير وتبعاً لهذا الاختلاف الطبيعي و
التفاوت القطرى فمنهم من يقترب من الاسلام الى حد مرضى عنه بحيث يأتمر الأوامر
و يجتنب النواهي، ومنهم من يتعد عنه ويتحرف عن جادته المستقيمة حسب حال كل
فرد وطبيعته و الى تلك المراتب المتفاوتة اشار القرآن الكريم بقوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ

الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَاطُر: ٣٢) ولكن هذا الابتعاد لا يخرج المسلم المقصر عن دائرة الاسلام مادام يدين بالولاء لهذا الدين الخفيف و ينتسب اليه فاذا صدر من المسلم بعض الاقوال او التصرفات مما يدل ظاهرها على الكفر و هو لم يرد بها تغيير اسلامه ولا ارتداد عن دينه فلا يحكم عليه بالكفر ولا بالردة ومهما تورط المسلم في المأثم و اقترف من تجرائم فهو مسلم، لا يجوز اتهمه بالردة او الكفر وقد روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَقْبَلَ قَيْلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَ أَكَلَ ذَيْبَحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ) وقد حذر رسول الله صلى الله عليه و سلم المسلمين من ان يقذف بعضهم بعضا بالكفر لعظم خطر هذه الجناية و قال فيما رواه مسلم عن ابن عمر: (إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَخْذُهُمَا)

ولا يعتبر المسلم خارجا عن الاسلام ولا يحكم عليه بالردة الا اذا انشرح صدره بالكفر و اطمأن به قلبه و دخل فيه بالفعل لقوله تعالى: (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِكُفْرٍ صَدْرًا ۖ النحل: ١٠٦) و يقول الرسول عليه السلام: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)

و مذهب أهل السنة و الجماعة التحاشى عن تكفير كل من انتسب للاسلام حتى انهم كانوا يكفون عن تكفير أئمة أهل البدع مع الامر بقتلهم و ذلك دفعا لضررهم لا لكفرهم.

هذا و لما كان ما فى القلب غيبا من الغيوب التى لا يعلمها الا الله تعالى وحده كان ولا بد من الكف عن تكفير المسلم حتى يصدر منه ما يدل على كفره دلالة قطعية لا تحتمل التأويل.

و قد نسب الى الامام مالك رضى الله عنه انه قال: من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة و تسعين وجها و يحتمل الايمان من وجه واحد حمل امره الى الايمان.

فالشرك هو الكفر باللفظ و المعنى و بالجملة و التفصيل و هما ضد التوحيد المقرر من أصل الاديان السماوية عامة . و من أصل هذا الدين الاسلامى خاصة . بشهادة الله فى كتابه العزيز حيث يقول تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ آل عمران: ١٨)

فالشرك بالله هو الكافر به الجاحد بوحدانيته المكذب بالأنبياء و الرسل و بما جاؤا به

من عند الله من الدين والشرائع وهو اعظم أنواع الضلالة واشدها على الله وفيه من الوعيد ما ليس في غيره من جميع المعاصي. لقد صرح القرآن الكريم ونبه في عدة آيات عن خطورة الشرك وحذر من ارتكابه معلنا بأن الشرك لظلم عظيم. وقال جل من قائل: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ النَّسَاءُ: ٤٨) وقال: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوِيَةُ النَّارِ ۗ الْمَائِدَةُ: ٧٢) وقال مخاطبا لحبيبه المصطفى: (وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَعْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ الزمر: ٦٥)

وهذه الآيات القرآنية وأمثالها الكثيرة في كتاب الله العزيز لا تترك مجالاً للشك في أن الشرك لعظيم وعواقبه وخيم.

هذا وينقسم الشرك الى ستة أنواع. شرك الاستقلال وهو إثبات إلهيتين مستقلتين كشرك المجوس. شرك التبعية وهو تركيب الاله من عدة آلهة كشرك النصارى. شرك التقريب وهو عبادة غير الله تعالى ليقربه الى الله زلفى كشرك مقدمى الجاهلية. شرك التقليد وهو عبادة غير الله تبعا للغير كشرك متأخرى الجاهلية. شرك الاسباب وهو اسناد التأثير للاسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبيين ومن تبعهم على ذلك. شرك الاعراض وهو العمل لغير الله تعالى كالرياء لقوله عليه الصلاة والسلام: (الرِّيَاءُ هُوَ الشَّرُّ الْأَضْفَرُ) «اخرجه احمد»

فحكم الاربعة الاولى الكفر بالاجماع. وحكم السادس المعصية من غير كفر بالاجماع. وحكم الخامس فيه التفصيل:

فمن اعتقد في الاسباب انها تؤثر بطبيعتها فهو كافر بالاجماع ومن اعتقد انها تؤثر بقوة اودعها الله فيها ، وانها اسباب عادية فقط. وقد تتخلف عن مسبباتها في بعض الاحيان، والمؤثر في الاشياء حقيقة هو الله تعالى وحده فهو مسلم بالاجماع.

وعلى هذا فان الشرك في الدين الاسلامي ضربان: أحدهما الشرك الجلى، وهو الاشراك في العبودية، وذلك اعظم كفر ونعوذ بالله منه. والثاني: الشرك الخفى وهو مراعاة غير الله معه في بعض الامور كأعمال المرائين وقد ورد في الحديث النبوى: (الشَّرُّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ ذَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَاءِ) ويعنى بذلك «الرياء» لقوله عليه

السلام في حديث آخر: (الرِّبَاءُ هُوَ الشَّرْكُ الْأَضَعُّ) رواه أحمد

فهذا الشرك المذكور الحاصل بالرياء لا يخرج المسلم عن دائرة الاسلام، وانما يحبط الاعمال فقط كما وقع عليه الاجماع. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرَ اللَّهِ فَعَمَلُهُ مَرْذُودٌ عَلَيْهِ)

واما الكفر فهو ايضا على اربعة اقسام: كفر الانكار، وذلك بان لايعرف الله اصلا ولا يعترف به وكفر الجحود، وكفر المعاندة، وكفر النفاق، فمن لقى ربه بواحدة من هذه لم يغفر له. ويعقر الله ما دون ذلك لمن يشاء. فأما كفر الانكار، فهو ان يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكره من التوحيد والعبادات.

واما كفر الجحود فهو ان يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وجنوده من شياطين الانس والجن. واما كفر المعاندة فهو ان يعرف الله بقلبه و يقر بلسانه ولا يدين به ككفر ابي جهل واضرابه.

واما كفر النفاق فهو الاقرار باللسان وعدم الاعتقاد في القلب كالمنافقين الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم في ذلك الى يوم القيامة. والكفر — على وجه التحديد — انما يكون بانكار الضرريات من الدين الاسلامي، كانكار وجود الباري ووحانيته، وانكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، او رسالة واحد من الرسل عليهم الصلاة والسلام او بانكار الفرائض كوجوب الصلاة او بانكار واحدة من القواعد الاسلامية الخمسة التي بنى عليها الاسلام.

الوهابية وإنكارها للبدع مطلقا

يغتنم الوهابيون كل فرصة ممكنة للهجوم على المسلمين والتوجيه اليهم انتقادات حادة وخارجة عن الموضوع ويحاربونهم بشتى الطرق والوسائل.

فمن ذلك القاؤهم على المسلمين شبهات للتلبيس عليهم دينهم وتشويش عقائدهم ومحاولون احباط اعمالهم وبطردهم عن حظيرة الاسلام وإبعادهم عن حدود السنة. وهاهم ايضا ينكرون على البدع كلها دون مراعاة ما يجوز انكاره منها وما لا يجوز انكاره ويحتجون بالحديث القائل: (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ) رواه ابو داود وقد ساقهم ظاهر هذا القول الى تكفير جماعة من المسلمين و ذم كثير من الابرياء ولوانهم فهموا معنى الحديث لعلموا أن الأمر ليس كما يظنون.

فالكل في اللغة العربية يأتي بمعنى البعض والبعض يأتي هو أيضا بمعنى الكل. فتأمل فقوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة من العام المخصوص.

والبدعة كما ذكرها العلماء والفقهاء تنقسم الى خمسة اقسام: واجبة، و مندوبة، ومباحة، ومكروهة، وحرام. وكلها مفصلة في الكتب المطولات. فمن لم يقدر على تمييزها كلها فحقه السكوت والاخيف عليه ان يحلل الحرام او يحرم الحلال وكلاهما ممنوع شرعا وفي الحديث: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً شَرًّا فَعَلَيْهِ وَزُرُّهَا وَزُرُّ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم والنسائي

وهذا الحديث اقوى دليل على ان البدعة اذا كانت حسنة فهي داخلة في عموم الشريعة الحميدة، وإنكارها هو البدعة المحرمة والدليل عليه في القرآن الكريم قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ * يس: ١٢)

وإذا تأملت الحديث المذكور علمت يقينا بأنه صلى الله عليه وسلم قد اجاز لنا ابتداع ما هو حسن وسماه سنة وجعل فيه الأجر للذى ابتدعه أولا، ولمن عمل به، الى يوم القيامة ثانيا ولا يسمى شئ بدعة حتى يخالف صريح الكتاب والسنة فمتى وافقهما فهو سنة حسنة يكون لمبتدعه أجره وأجر من عمل به، الى يوم القيامة.

قد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه في صلاة التراويح. «يُعَمَّبُ الْبِدْعَةُ هَذِهِ»

هذا ولا بد من التمييز بين البدعة المستحسنة و البدعة المستقبحة و الاعتراف بواقعية كل منهما و إلا فلاحال للانكار...

و معلوم ان العلماء قد اشترطوا لجواز النهى عن المنكر شرطين: الأول معرفة المنكر و الثانى أن لا يؤدى نهيه الى ارتكاب ما هو أعظم منه

و أكثر الوهابيين فيما يكرونها اليوم، من البدع و المكروهات يرتكبون اعظم منها لأنهم بأنكار هذه البدع يكفرون المسلمين الموحدين الذين هم في واد و الكفر في واد — لا جرم — ان تكفير المسلم الموحّد أكبر و اخطر من ارتكاب بعض البدع و المكروهات. و أعجب شيء منهم هو انهم يتأثرون للبدع و المكروهات و ينكرون عليها بشدة، أكثر مما ينكرون على المحرمات كالكذب و الغيبة و السخرية و نحوها من الكبائر. و قلما يوجد منهم من يتأثر لهذه الكبائر الغاشية تأثيره للبدع و المكروهات و شأنهم هذا شأن من يبنى قصرا و يهدم مصرا. و كان عليهم ان يقدموا الأهمّ فالأهمّ..

ولا يخفى ان القاعدة الاسلامية تقتضى ان لا يقول أحد قولاً ولا يفعل فعلاً حتى يعلم حكم الله فيه، و إلا فهو على خطر يخشى منه تحريم الحلال او تحليل الحرام.. ولا يعتنى بهذا اننا نجوز البدع كلها او نسعى الى تشجيع البدعيين و المخالفين، بل بالعكس! فنحن ضد البدع المخالفة للكتاب و السنة و ضد الاوهام و الخرافات الباطلة ايا كان مصدرها نسعى الى قمعها و القضاء عليها بكل ما اوتينا من حول و قوة. و لكننا في نفس الوقت نعترف بان هناك بدعا لا بأس بها اذا كانت هذه البدع تعين على أداء الواجبات او المسنونات لان كل ما يتوصل به الى الواجب واجب. و ما يتوصل به الى السنة مندوب. و نؤمن كذلك بان البدع - كما ذكرها الفقهاء - تنقسم الى خمسة اقسام واجبة، و مندوبة، و مباحة، و مكروهة، و حرام. لكل واحدة منها حكمها و منزلتها.

و لذلك نرى وجوب التمييز بين البدعة الحسنة و البدعة القبيحة لنسمى الأولى سنة كما في الحديث: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَ أُجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) و نسمى الأخرى بدعة كما في حديث آخر: (كُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ وَ كُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ)

ولا ينبغي ان نحكم على البدع كلها من خلال ظاهر الحديث القائل كل بدعة ضلالة. لعلمنا بان هناك اشياء نستعملها اليوم في شئوننا الدينية والادارية تشيأ مع تطور العصر الحديث مع أن تلك الاشياء لم تكن موجودة ولا هى مستعملة في حياة الرسول ولا في زمن الصحابة وإنما ابتدعت من بعدهم رضوان الله تعالى عليهم.

وإذا صح القول بأن كل مالم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بدعة موجبة للدخول في النار. فكيف بنا ونحن نتوجه كل سنة الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج عن طريق الجو أو عن طريق البواخر والسيارات؟ مع العلم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل مكة قط بواسطة هذه المخترعات الحديثة ونعلم ان مسجده صلى الله عليه وسلم لم يكن مجهزاً بمكبرات الصوت ولا المراوح الكهربائية كما هى الحال في مساجدنا اليوم ولم يبلغنا قط انه صلى الله عليه وسلم صام أو أفطر بإخبار الاذاعات أو البرقيات كما نصوم الآن ونفطر بها.

وإذا كانت عبادتنا هذه كلها باطلة لاعتمادها على أشياء محدثة لم يفعلها الرسول ولم يشاربها في حياته، فمن ينجو منا؟ ومتى يمكننا تصديق قوله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَجْتَمِعُ أُمْنِي عَلَى ضَلَالَةٍ) حديث شريف أخرجه الترمذى

وقد قسم ابن عبد السلام [١] الحوادث الى الاحكام الخمسة فقال: البدعة فعل مالم يعهد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنها واجبة كتعلم النحو وغريب الكتاب و السنة ونحوهما مما يتوقف فهم الشريعة عليه. ومنها محرمة كمذهب القدرية والجبرية والمجسمة. ومنها مندوبة كاحداث الروابط والمدارس والمستشفيات وبناء القناطر وكل إحسان لم يعهد في العصر الاول. ومنها مكروهة كزخرفة المساجد وتزيين المصاحف. ومنها مباحة كالمصافحة عقب صلاة الصبح والعصر والتوسع في المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك.

ومن البدع المستحسنة أيضا الكتب والتصانيف فهى محدثة لم يكن شئ منها في زمن الصحابة وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة بعد وفاة جميع الصحابة و جملة التابعين رضی الله عنهم اجمعين.

(١) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ .

بيان في احكام الطرق والأوراد الصوفية

هذا و من الجدير بالذكر ان من الوهابيين من ينكرون الطرق و الاذكار الصوفية كالتجانية و القادرية و الشاذلية و نحوها و يرفضونها رفضاً بتاً و يرونها من البدع القبيحة و يقولون بأنها لم تكن في زمن الرسول و لم يفعلها الصحابة ولا التابعون و يحملون الناس على تركها بكل مالدihem من حول و قوة. و يستدلون ببعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَقَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً * المائدة: ٣) و كقوله: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ * الانعام: ١٥٣):

و يزعمون بان هذه الاوراد هي السبل المعنية في نص الآية.

و جوابنا على هذه الأدلة بأنها بعيدة عن الحق بعد المشرق من المغرب فهذه الآيات وما شاكلها لا علاقة لها بنفى الورد أصلاً و قد أخطأ فهمهم هنا خطأ فاحشاً و ناهيك عما فيه من تحريف القرآن الكريم و افتراء الكذب على الله تعالى. فتفسير هذه الآيات و معانيها معروفة بتقرير الفقهاء و المفسرين و من اراد الوقوف على حقيقتها فليطالع كتب التفسير.

اما الطرق الصوفية — كما يمكن ان نعرفها — إنما هي جمعيات دينية شكلت للتعاون على ذكر الله و الصلاة على نبيه بشروط و أنظمة معينة تتفق مع مبادئ الاسلام و أهدافه. و اركانها ثلاثة و هي الاستغفار، و الهيلة، و الصلاة على النبي. و الهدف من تشكيل هذه الجمعيات الدينية — في نظر السادة الصوفية — هو مجرد التقرب الى الله تعالى بالاذكار التي أمر الله عباده بذكرها بعد اداء فرائضهم قال الله عز و جل: (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ * النساء: ١٠٣) و امثال أمره تعالى بقوله: (فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ * البقرة: ١٥٢) و قوله: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ * المائدة: ٢)

و قد رأوا أن التعاون على ذكر الله و الصلاة على نبيه أفضل و أهم من جميع انواع

التعاون لقوله تعالى: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ * العنكبوت: ٤٥)
هذا ومن المعلوم بالضرورة ان هذه الاذكار التي ينكرونها مأخوذة كلها من
الكتاب و السنة و هي دائرة بين الاستغفار، و الهيلة و الصلاة على النبي صلى الله عليه و
سلم.

واما الاستغفار فقد ورد ذكره في القرآن الكريم بصيغة الأمر في عدة مواضع، منها
قوله تعالى: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا * النصر: ٣)، (وَأَنِّي اسْتَغْفِرُكَ رَبُّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوا إِلَيْهِ * هود: ٣٠)

واما الأحاديث الواردة في الاستغفار فكثيرة لا يمكن حصرها فمنها قوله عليه الصلاة
و السلام: (يا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً وَاسْتَغْفِرُوهُ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)
رواه مسلم. وقال عليه السلام: (مَا مِنْ عَبْدٍ وَلَا أَمَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلَّا غَفَرَ
اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ ذَنْبًا وَقَدْ خَابَ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ عَمِلَ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ ذَنْبًا) رواه
البيهقي

اما الصلاة على النبي فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَقَّلَ كَنَّهُ
يُضِلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا * الاحزاب: ٥٦) وفي
الحديث: (مَنْ صَلَّى عَلَى صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَمَنْ صَلَّى عَلَى عَشْرٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ مِائَةً وَمَنْ صَلَّى عَلَى قَائِمَةٍ كَتَبَ اللَّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ وَأَسْكَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ
الْبَيْقَاةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ) رواه مسلم

اما الهيلة — لا إله الا الله — فقد قال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ
لِذُنُوبِكَ * محمد: ١٩) وقال عليه السلام: (أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) رواه ابن ماجه و
النسائي. وقال أيضا: (أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالتَّيُّونُ مِنْ قِبَلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) رواه مالك بن
انس عن طلحة

فمن هذه الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة استخرجت الأذكار
المذكورة و اتخذها السادة الصوفية طرقا لهم يهدف التقرب الى الله و الوصول اليه لا غير فمن
زعم ان لهم غرضا غير ذلك او هدفا دون هذا فقد افترى و قد تبين انها مأخوذة كلها من
القرآن الكريم و الأحاديث الشريفة فلا ينكر عليها الا الجاهل — الأحمق أو السفیه المطلق.

وقد بشر الله الذاكرين بقوله تعالى: (وَالَّذَاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الاحزاب: ٣٥) وقال ايضا: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الجمعة ١٠) فلا يضرنا اذاً انكار المنكر بما هو موافق للكتاب والسنة.

هذا وقد ورد في كتاب «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى» لمؤلفه الحاج سعد بن عمر بعد ان اورد جملة من الآيات والاحاديث الدالة على وجوب الذكر والحث عليه قال سيادته: فمما تقدم من النصوص الصريحة نعلم ونتحقق بأن الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة ان لا اله الا الله اذكار حث عليها الكتاب والسنة ورغبا في ذكرها ووعد الله عليهما ورسوله الثواب الجزيل وغفران الذنوب والدخول في الجنان وان الرسول عليه السلام واصحابه الكرام داوموا على ذكرها مدى حياتهم.

فبناء على هذا نصرح بكل وضوح ان الورد التجاني الذي ليس إلا كواحد من هذه الأذكار الجليلة لا يكون بوجه من الوجوه حراما أو بدعة قبيحة كما لا يصح القول بأن الشيخ احمد التجاني رضى الله عنه اخترعه من عند نفسه بل هي أذكار قرآنية محضة لا غبار فيها.

فان قال قائل بأن الورد المذكور ليس من الدين لان الدين قد تم قبله لقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) المائدة: ٣) ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمَا بِهِمَا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ) رواه مالك رحمه الله نقول وأى دين تم قبل لا اله الا الله وقبل الاستغفار وقبل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان هذه الألفاظ الثلاثة هي اركان الورد التجاني وعليها مداره فان كان القائل يعنى بتمام الدين الاسلامي نقول فان الله تعالى جعل لا اله الا الله مفتاحه والاستغفار مذهب ذنوب أهله والصلاة على النبي معرفة جميل نبيه وقد نطق بها الكتاب والسنة وعمل بها الرسول عليه السلام واصحابه الكرام والصالحون من امته وسيعمل بها المسلمون الى يوم القيامة سواء كانوا تجانيين او غير تجانيين فلا نجاة لاحد من يتدين بالدين الاسلامي دونها.

هذا وللطرق الصوفية دور هام في تحقيق الدعوة الاسلامية وأثر بارز في التأليف بين قلوب المسلمين وجمع كلمتهم وحملهم على التمسك بالكتاب والسنة، وتعمير بيوت

آذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه بالصلاة والتسبيح والتهليل بالغدو والآصال.
وتعتبر الطريقة التجانية بيت القصيدة في نظم هذه الطرق الصوفية وقد اخطأ من
انكر على هذه الطرق الدينية وزعم انها بدعة مخالفة للكتاب والسنة او اتهم زعماءها و
اعترض عليهم.

هذا ولا ينكر أحد بان الاسلام ما انتشر هنا في افريقيا السوداء الا بفضل جهود
شيوخ الطرق من امثال الحاج عمر الفتوى. والشيخ احمد أمير حمد الله والشيخ محمد عبد
الله سعاد. والشيخ عثمان فودي والعلامة الشيخ محمد بابو والسيد الحاج مالك بيه و
غيرهم رضى الله عنهم

وقد قال الشيخ احمد التجانى رضى الله عنه: «و شرط هذا الورد المحافظة على
الصلوات الخمس فى الجماعات والامور الشرعية. وإياكم ولباس حلة الأمن من مكر الله
فإنه عين الهلاك وترك المقاطعة مع جميع الخلق وآكد ذلك بينكم وبين الاخوان فى
الطريقة.»

وهذا دليل آخر على مدى اهتمام الطريقة التجانية بالصلاة التى هى عماد
الدين، وانها تحث على مواصلة الارحام وعدم الأمن من مكر الله ومع ذلك فأورادها لم
تزاحم الفرائض ولا السنن فى اوقاتها بل هى مؤقتة فى اوقات ندب فيها الذكر خاصة و
هى من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر الى الغروب.

وأما ماورد فى كتب الطريقة من فضائل الذكر، وان من أخذ الورد التجانى و
داوم عليه الى الممات أنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب هو والده وازواجه وذريته
ان سلم الجميع من الانتقاد. فهذه الوعود كلها داخلية تحت وعد الله ورسوله، وهى
صادقة ان شاء الله تعالى.

ووجه ذلك قد سبق ان علمت بأن الورد التجانى ما هو الا الاستغفار، والهيلة و
الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم. فالآيات القرآنية والاحاديث النبوية تصرح فى
اكثر من موضع فضل الذكر بهذه الصيغ وما وعده الله للذاكرين بها قال الله تعالى: (وَ
الَّذَاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالَّذَاكِرَاتِ اعْتَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا احزاب ٣٥) وقال: (وَ
اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ الجمعة : ١٠) وفى الحديث: (مَنْ قَامَ يَوْمَ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ

الله عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا تَأْدَى مُتَأَدٍّ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَبِيئَاتُكُمْ خَسَنَاتٍ) رواه احمد. فهذه وعود صريحة بالمغفرة ودخول في الجنة وعدها الله للذاكرين وهو تعالى صادق الوعد ولا يخلف الميعاد.

وأما ما يخص والديهم وأزواجهم وذرياتهم فقد قال تعالى: (جَنَّتْ عَذِينَ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ * رعد: ٢٣) وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ دَرَجَةَ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي دَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَتْلَفْهَا يَعْمَلْهُ لِيَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ) ثم قرأ: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ).

فمن تأمل هذه الآيات والاحاديث النبوية تحقق بأن وعد الشيخ رضي الله عنه للذين حافظوا على الأوراد بشروطها تابع لوعده الله تعالى في القرآن وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وغير خارج عن حدود الشريعة المطهرة فلا لوم على الذين تعلقوا بهذه الوعود الصادقة متكئين على الله تعالى القائل في كتابه، العزيز: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * الزمر: ٥٣).

وأما ما يقوله أو يفعله بعض الجهال المنتسبين الى الطريقة التجانية مما يخالف الشريعة الاسلامية فان الشيخ رضي الله عنه ليس مسؤولاً عنهم وطريقته بريئة منهم كما ان الرسول عليه الصلاة والسلام ليس بمسؤول عن اعمال جهلة المسلمين من امته والدين الاسلامي هو ايضا بريء مما يفعله بعض المسلمين المنحرفين . وليس لأحد حجة على الشيخ بعد قوله رضي الله عنه: «وإذا أمرتكم بأمر زنوه بميزان الشرع فان وافق فاعملوا به وان خالف فاتركوه».

فعبارات الشيخ هذه تطابق تماماً مع ما قاله سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما بويع بالخلافة وقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس أطيعوني ما اطعت الله وان عصيته فلا طاعة لي عليكم يغفر الله لنا ولكم». هـ.

الوهابية ونفيها بتقليد أئمة المذاهب

ينتهج الوهابيون المتطرفون في هذه المسألة نهجاً خارقاً للاجماع ومعارضاً لأقوال العلماء وآراء الفقهاء. وذلك انهم ينكرون أئمة المذاهب وكتبهم الفقهية وينفون التقليد بهم والتقليد بمذاهبهم زاعمين ان لهم الحق في استنباط الاحكام والمسائل من القرآن والحديث مباشرة دون التقيد بمذهب من المذاهب أو التقليد بامام من أئمة الدين.

وهذا - في الواقع - تلبيس عظيم غرروا به العوام من الجهال وصغار الطلبة حتى اوقعوهم من حيث لا ينجرون. وقد يكون دافعهم الوحيد الى هذا التلبيس هو محاولة تعطيل هذه المذاهب الاربعة والقضاء عليها ليفسحوا المجال امامهم كي يتسنى لهم تحقيق اغراضهم الشخصية المتمثلة في حب الظهور وعدم اعتراف الغير. كما يحاولون من خلال توجيهاتهم السخيفة الى تضليل العوام عن دور هذه المذاهب وتصريفهم عن تعلم الفقه والاهتمام به كوسيلة لمعرفة شرائع الاسلام واحكام العبادات بينما لا يمكن تعطيل هذه المذاهب ولا الاستغناء عنها لانها قد وضعت خصيصاً لتفصيل وتبيين ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي مجملاً من احكام العبادات والمعاملات. بل ولا يصح الاسلام بالنسبة لنا - نحن الخلق - الا بتقليد أئمة المذاهب رضوان الله عليهم. وليس بالاجتهاد الفوضوي كما يزعمه بعض الجهلة ولا يخفى ان العلماء متفقون على ان الخارج عن المذاهب الاربعة ضال مضل وربما اداه ذلك الى الكفر لان الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من اصول الكفر ولان كثيراً من القرآن والأحاديث ما ظاهره صريح الكفر، (وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ... * آل عمران: ٧) ولا ينبغي إتهام الأئمة الأربعة في ترك السنة وهم أرباب العلم والورع والكشف والانصاف وأحرص الناس على اتباع سنة رسول الله وقد بنى الامام مالك رضي الله عنه مذهبه على اربعة اشياء: آية قرآنية، وحديث صحيح، واجماع أهل المدينة، واتفاق جمهورهم.

وقد اجمع أهل السنة على وجوب التقليد على من ليس فيه أهلية الاجتهاد وقد

شاع ذلك حتى صار معلوما من الدين بالضرورة.

و معلوم عند كل احد ان رتبة الاجتهاد قد انقطعت منذ أزمان وأنه ليس في أبناء هذا الزمان أحد من الذين بلغوا درجة الاجتهاد، ومن توهم ذلك فقد غره هواه، ولعب به الشيطان.

لذلك كان من حقنا — نحن الخلق — ان نقلد هؤلاء الأئمة بدلا من الاجتهاد الذى لم يصل اليه افهامنا فالاجتهاد له شروط وبدونها يكون تلاعب بالدين وسخرية بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم اعادنا الله من ذلك وقد قال ابن القيم [١] في كتاب «اعلام الموقعين» لا يجوز لأحد ان يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم. فمن هذه الشروط ان يكون فقيها عالما بكتاب الله حافظا له عارفا باختلاف قراءته، واختلاف قرائه بصيرا بتفسيره خبيرا بحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وقصصه. ومنها ان يكون عالما بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مميزاً بين صحيح أحاديثه وسقيمها. ومنها ان يكون ورعاً، ديناً، صائناً لنفسه، صدوقاً؛ ثقة يبنى مذهبه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن فاته واحدة من هذه الخصال كان ناقصاً فلا يجوز له ان يكون مجتهدا يقلد به الناس.

وسأل رجل احمد بن حنبل [٢] إذا حفظ الرجل مائة الف حديث هل يكون فقيها قال لا قال فمائتي الف حديث قال لا قال فثلاثمائة الف حديث قال لا قال فأربعمائة الف حديث قال نعم ويقال ان احمد بن حنبل اجاب عن ستمائة الف حديث.

هذا ولا يجهل احد منا ان العلماء في كل زمان ومكان كالنوى والسيوطى وأحمد بن تيمية وابن القيم والفخر الرازى وطنطاوى والغزالى وابن القاسم و خليل بن اسحاق وغيرهم كانوا جميعا على تقليد بالأئمة مع ان كل واحد منهم له اليد الطولى في كل فن من الفنون ولكن لما علموا انهم لم يصلوا الى رتبة الاجتهاد وقفوا عند حدهم وكانوا من جملة المتقلدين. «و رحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعد طوره.»

(١) ابو عبد الله محمد بن ابوبكر تلميذ ابن تيمية المتوفى ٧٥١ هـ

(٢) احمد بن محمد بن ابو عبد الله المتوفى ٢٤١ هـ

هذا ومن الغريب جداً ان يكون باب الاجتهاد مفتوحاً امام الجميع يتسارع اليه الفقيه والسفيه ويتزاحم لديه العالم المتبحر والجاهل المتكبر. يتقيد هذا بعلمه ويتخبط ذاك بجهره كلا! إنها محض دعوى أريد بها تضليل العوام وتلييس الحفّاقق بالاحلام ليس غير.

فالاجتهاد في نظر المحققين رتبة في غاية السمو والارتفاع ومن المستحيل ان تحاول الوصول اليه عصبة من المتخلفين الذين كان الجدال — ولا يزال — هو مبلغهم من العلم ومنتهى حظهم في الفهم وقد سولت لهم أنفسهم ان يجوزوا لأنفسهم ولغيرهم الاستنباط من القرآن والاخذ بظاهر الآيات والاحاديث علماً منهم بأن ذلك أقرب وسيلة وأنجح حيلة لصيد عقول الجاهل ونيل الشهرة والرياسة لدى الاميين الذين لا يميزون بين السقيم والمستقيم لانهم يقولون: نحن نقول قال الله أو قال رسول الله وغيرنا يقول قال مالك وقال شيخ فلانى.

ومن هنا انكروا التقليد بأئمة المذاهب وبالفوا في نقدهم والاعتراض عليهم و تراهم يتساءلون فيما بينهم كيف نترك الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ونقلد بالأئمة في اجتهادهم المحتمل للخطأ؟ وكيف نترك قول الله ورسوله ونأخذ بقول مالك او بقول شافعى او بقول فلان وفلان؟ وقد اجابهم بعض المحققين في تلك التساؤلات بقوله [١] ان تقليد الائمة في اجتهادهم ليس تركاً للآيات والاحاديث كما يزعمون بل هو عين التمسك والاخذ بهما فان القرآن الكريم ما وصل الينا الا بواسطة مع كونهم اعلم منا بناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقیده ومجمله ومبينه ومتشابهه ومحكمه واسباب نزوله ومعانيه وتأويلاته ولغاته وسائر علومه وتلقيهم ذلك عن التابعين المتلقين عن الصحابة الذين تلقوا مباشرة عن الشارع الأمين صلوات الله وسلامه عليه المعصوم من الخطأ والهفوات.

وكذلك الاحاديث ما وصلت اليها بواسطة مع كونهم أعلم ممن بعدهم بصحتها وحسنها وضعيفها ومرفوعها ومرسلها ومتواترها وآحادها ومعطلها وغريبها وتأويلها وتاريخ التقدم والمتأخر والناسخ والمنسوخ وأسبابها ولغاتها وسائر علومها مع

تمام ضبطهم وتحريرهم لها وكمال إدراكهم وقوة ديانتهم واعتنائهم ووفرهم و نور بصائرهم».

و خلاصة القول فإن مدعى الاجتهاد من ابناء هذا العصر، المنكرين لتقليد ائمة المذاهب قد لا يريدون من وراء هذه الدعوى إلا حب الظهور وقصد الشهرة بمقتضى قاعدة: «خَالِفْ تُعْرِفْ». او يريدون بها تفريقا وحدة المسلمين وإثارة الشكوك والخلافات بين صفوفهم سعيا وراء مصالحهم الشخصية. وإلا فَهَمْ أعلم بأنفسهم قبل غيرهم بأنهم ليسوا من ذوى المكانة المعبرة فى العلوم، ولا أهلية لهم بالفتوى فضلا عن الاجتهاد الذى يقف دونه أكابر العلماء.

مسألة القبض والسدل

أما القبض فهو الشعار الرسمى لوهابىي بلادنا وقانونهم المطبق بل هو الركن المؤكد وشرطهم الاساسى لصحة الصلاة. وقد يبطلون صلاة من ترك القبض وأسدل يديه ولا يأتون به ويحكمون عليه بالكفر والفسوق تارة، وبالشرك والنفاق تارة اخرى.

فهذا الحكم الفاسد اما لجهلهم بفقہ الصلاة وإما لانكارهم على الامام مالك رضى الله عنه الذى كره القبض فى الفرائض ولا حجة لبعضهم فى تأكيد هذا القبض واختياره على السدل سوى انهم ذهبوا الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وجدوا أهل مكة يقبضون أيديهم فى الصلاة.

ونحن نجيب لأولئك البعض بان الحج إنما هو مؤتمر اسلامى كبير يشترك فيه آلاف من المسلمين القادمين من بلاد مختلفة ومن اماكن شتى فبعضهم على مذهب الحنفى والبعض الآخر على مذهب الحنبلى وقد يكون بعض هذه المذاهب يفضل القبض ويأمر به خلافاً لمذهب الامام مالك رضى الله عنه.

ولا ينبغى لما لكى ان يترك مذهبه ويقلد غيره على هذه الصورة خصوصا إذا كان قبضه يؤدى الى سوء التفاهم واختلاف الآراء فيما بينه وبين قومه فصول الوحدة الاسلامية والسعى لتقارب وجهات النظر بين المسلمين فى شؤونهم الدينية والدنيوية

أولى، وأجدر من التمسك والتشديد في مسائل وقد رخص فيها ومع ذلك فلسنا نحن
 مأمورين باتباع أهل مكة في سائر الأقوال والأفعال وإنما أمرنا باتباع النبي صلى الله عليه
 وسلم قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الاحزاب: ٢١) ولم يقل
 كان لكم في أهل مكة آية أسوة فأهل مكة كغيرهم من سائر المسلمين مأمورون هم ايضا
 باقتداء النبي صلى الله عليه وسلم. لان يقتدى بهم وحدهم

فمسألة القبض والسدل اذن ليست بمسألة مكين أو مدنيين حتى نحتاج الى
 التقيد بما هنالك. ولكنها مسألة مرئية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كباقي المسائل
 الفقهية.

وقد ثبتت في الآثار الصحيحة مشروعية كل من القبض والسدل وانهما من
 فعل المعصوم صلى الله عليه وسلم ولا يتصور ان يكون الامام مالك رضى الله عنه قد اختار
 السدل من تلقاء نفسه، او أمر به بمجرد هواه وحاشاه ان يفعله او يأمر به دون ان تكون له
 اسانيد صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، ولا يليق بنا ان ننكر عليه او
 نعارضه في أية مسألة من المسائل الفقهية لا في السدل ولا في غيره لانه اعلم منا بصلاة
 رسول الله وأفقهنا بحكم القبض والسدل وهو رضى الله عنه امام فقهاء عصره وقوتهم
 على الاطلاق ومذهبه عمرى على المشهور. وحسبه فخرا كونه اماما لدار الهجرة وعالم
 المدينة المنورة على التحقيق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ
 حَتَّى يَظْهَرَ عَالِمُ الْمَدِينَةِ) وقال ايضا: (يَخْرُجُ النَّاسُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ فِي ظَلَبِ
 الْعِلْمِ فَلَا يَجِدُوا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ).

وسئل ابو حنيفة عن مالك فقال: «ما رأيت اعلم منه بسنة رسول الله منه» و
 مناقب الامام مالك رضى الله عنه اظهر من شمس الضحى واكثر من أن تعد او تحصى.

هذا ومن الواضح جدا ان منكرى السدل الطاعنين به غير مقيدين بقوانين الفقه و
 الحديث. وليسوا بمتفقهين بالمعنى الصحيح لقد ثبت السدل عن كثير من الصحابة كأبى
 بكر الصديق وعل ابن ابى طالب وأبى هريرة وسعد بن سهل ومعاذ بن جبل وعبد الله
 ابن الزبير وأبى حميد الساعدي وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين. فالطعن على المسدلين
 طعن لجميع هؤلاء الصحابة والعياذ بالله من ذلك. ومعلوم ان اصحاب رسول الله
 كالنجوم بأنهم اقتدينا اهتدينا.

و انا لنعتقد ان الطاعنين على السدل معذرون من حيث قلة الفهم وضعف الادراك فهم — على ما يبدو — كأدوات مسخرة لافكار بعض المتطرفين الذين يزعمون ان السدل بدعة قبيحة وان الشارع صلى الله عليه وسلم لم يفعله قط ولم يأمر به وذلك ما صرح به الاخ محمد المرزوق ابن عبد المؤمن الفلاتى فى كتابه: «القبض والارسال فى الصلاة» وقد ذكر هذا الرجل فى كتيبه المذكور أن مسدلى الأيدى فى الصلاة بدعيون ملعونون ومستحقون الخلود فى النار وقال ايضا ان صلواتهم باطلة وعباداتهم عاطلة وجميع اعمالهم مردودة من أجل هذا السدل لقول النبى صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَخَذَتْ فى أَمْرِنَا هَذَا قَالَتِ مَنْهُ فَهَوْرَةٌ) من حديث عائشة ولم يترك هذا المؤلف المفتون رطباً ولا يابساً من الكلمات القبيحة والعبارات الشنيعة الآ واطلقها على الائمة الكرام والعلماء الأعلام الآخذين السدل من صفة صلاة الرسول عليه السلام. ومن جريان العمل به من طرف بعض الصحابة والتابعين وباتفاق جمهور العلماء على مر القرون والعصور.

هذا ومن المؤسف جدا ان هذا الكتيب رغم مافيه من الفحشاء والمنكر والكلام القبيح قد نال قبولاً حاراً واهتماماً بالغاً لدى بعض الوهابيين الذين زادوا به حقداً على المسلمين وتفريقاً بين صفوف المصلين فصار القابض منهم يمتنع ان يصلى خلف السادل عملاً بما ورد فى هذا الكتيب. وتعطلت من اجل ذلك المساجد والزوايا وشرعوا بحكم لم يأذن به الله ولم ينزل به سلطاناً. ويتابع الفلاتى فى صفحات كتيبه قائلاً: «فانا لم نجد للسدل حديثاً صحيحاً ولا حسناً ولا ضعيفاً حتى نعتد عليه»

نعم قد لا يجد الفلاتى الحديث عن السدل — كما ذكر — لانه لم يكن متعمقاً فى علم الحديث مثلما تعمق فى علم السب واللعن والشتائم والاستاذ الفلاتى — كما يبدو لنا فى اسلوب لعناته وعباراته فى الطعن والتشنيع — يبدو وكأنه تخرج من «كُلِّيَّةِ الْبَدَآءَةِ» وقد حاز فيها على شهادته العليا «فى الْوَقَاحَةِ وَالْجَرَآةِ» لذلك لا يمكن له أن يكتب او يتكلم الا بما يناسب ثقافته المشؤمة.

اما كون السدل من فعل المعصوم صلى الله عليه وسلم فيشهد عليه حديث مسيء الصلاة الذى أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم عن أبى هريرة رضى الله عنه. وخلاصته «أن رجلاً دخل المسجد وصلى بحضور الرسول عليه السلام ثم جاء

فسلم عليه فقال (وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل) فصلى ثم جاء. فسلم فقال (وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل) فصلى ثم جاء فسلم فقال (وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل) فقال في الثانية او في الثالثة علمنى يا رسول الله فقال (إذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تستوى قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها) وزاد في رواية أخرى (فاذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك وإن انتقصت منها فإِنَّمَا أنتقصت من صلاتك).

هذه كيفية للصلاة بتمامها ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيها القبض وصح الاستدلال بهذا الحديث على ان كلما ذكر فيه واجب لا تصح الصلاة بدونه وما لم يذكر فيه فليس بواجب وهو صلى الله عليه وسلم كان يومئذ بمقام تعليم الواجبات في الصلاة ولا يجوز في حقه ان ينسى شيئا منها أو يقتصر بذكر بعضها دون البعض.

وكذلك حديث ابي حميد الانصارى الذى اخرجه البخارى و ابو داود والنسائى وذلك ان ابا حميد كان في عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال انا اعلم بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم قالوا: نعم فوالله ما كنت بأكثرنا له تبعة ولا اقدمنا صحبة قال بلى قالوا: فاعرض، أتى صيف لنا صلاة النبى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يكبر حتى يقر كل عظم في موضعه معتدلاً ثم يركع ويضع راحته على ركبتيه. وتابع ابو حميد رضى الله عنه في وصف صلاته مرتباً حتى اتى الى التسليم قالوا كلهم صدقت هكذا كان يصلى صلى الله عليه وسلم مع انه لم يذكر فيها القبض وقد ذكر جميع الفرائض والسنن والمستحبات بالاستقصاء. وهذا الحديث ايضا حجة واضحة في السدل وحيث لم ينكر عليه الصحابة في عدم ذكر القبض ولم يناقشوه فيه — رغم ان المقام كان مقام احتجاج وامتحان — علمنا انهم متفقون على ان القبض ليس لازماً في صفة صلاته صلى الله عليه وسلم.

اما قول مالك رضى الله عنه في الموطأ، «كان الناس يؤمرون ان يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة.» فان هذا الحديث يدل على ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا قبل ذلك يسدلون والا كان أمراً بتحصيل الحاصل وهو عبث محال عليه صلى الله عليه وسلم.

و حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الذى قال فيه: «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت شمالى على يمينى فأخذ يمينى فوضعها على شمالى» يدل هو أيضا على ان ابن مسعود رضى الله عنه كان حديث عهد بالقبض لانه لا يجوز ان يجهل صحابى جليل مثل ابن مسعود فعلا من افعال الصلاة الذى يكرره كل يوم سبعة عشر مرة على الاقل.

وهذان الحديثان يدلان على ان السدل هو اول فعلية و الذى يدل على انه اخر فعلية صلى الله عليه وسلم هو استمرار عمل الصحابة عليه اذ لا يجوز جهلهم بآخر حالى الرسول صلى الله عليه وسلم.

و امامنا مالك رضى الله عنه كان من تابعى التابعين وقد أخذ عن علمائهم الذين شاهدوا عمل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا اعتمد على ما شاهدته منهم من السدل فقال رضى الله عنه انه لا يرى القبض فى الفرض كما رواه عنه تلميذه ابن القاسم [١] فى المدونة وأخذ به أصحابه.

هذا ومن اراد مزيدا من الايضاح فى هذا الموضوع فليطالع كتاب «موقف الفصل فى ادلة القبض و السدل.» للعلامة الحاج سعد بن عمر تورى [٢] او يطالع كتاب «ما قل ودل فى ادلة القبض و السدل» للاستاذ الشيخ احمد التجانى الفوتى [٣] فقد عالج مؤلفا هذين الكتابين — جزاهما الله خيرا — مسائل القبض و السدل و بحثا عن احكامها بحثا دقيقا و بينا مشروعية كل منهما و مأخذها من صلاة الرسول و من عمل الصحابة و التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وهذان الكتابان فى غاية الأهمية لمن يريد التفقه فى احكام القبض و السدل. و من ذلك اتفاق الائمة على استحباب وضع اليمنى على الشمال فى القيام و ما قام مقامه مع قول مالك فى أشهر روايته انه يرسل يديه ارسالا و مع قول الاوزاعى انه يتخير فالاول مشدد و الثانى و ما بعده مخفف و ان تفاوت التخفيف اختلفوا فى محل وضع اليدين

(١) عبد الرحمن بن قاسم العتكى المالكى المتوفى ١٩١ هـ.

(٢) السيد سعد عمر تورى مدير «مدرسة سبيل الفلاح» ميقوج «مالى»

(٣) الاستاذ احمد التجانى به الخطيب الاسلامى فى اذاعة و التلفزة ابدجا سح

فقال أبو حنيفة تحت السرة وقال مالك والشافعي تحت صدره فوق سرته وعن أحد رواتين أشهرهما كمذهب أبي حنيفة واختارها الخرقى^(١)

هذا ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء الوهابيين قد اتخذوا القبض شعارا لهم ليميزوا به عن غيرهم أو ليقدرُوا عددهم وعددهم والقبض أشرف من أن يكون وسيلة للتفريق بين جمهور المصلى أو لتمييز بعضهم بعضا.

ولا ينبغي أن يكون القبض والسدل مصدرى الخلاف بين جماعة المسلمين اللهم إلا إذا استولى عليهم التعصب أو الجهل بأحكام الفقه لأنهما ليسا من الشروط التي تتوقف عليها صحة الصلاة وليس من الفرائض ولا من السنن المؤكدة ولكنهما من الفضائل الخفيفة بالنسبة لأفعال الصلاة ولكن اخواننا الوهابيين لما تركوا تعلم الفقه جهلوا أحكام الصلاة وجعلوا الفضائل محل الفرائض وفي الحديث: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) متفق عليه

وأخيرا نختم هذا الموضوع بمقال للاستاذ الحاج سعد بن عمر نقلناه من كتابه «موقف الفصل» ونصه ما يلي: «فالقول إذا يا اخوانى ببطلان صلوات الساديين أو القبايضين ليس له نصيب من الصحة ولا مستند له في الشريعة ولا قال به من يعتد بكلامه من الاجلة ونسبة فاعل أحدهما أو تاركه الى البدعة أو التفاق أو الكفر الموجب للخلود في النار ودعاؤه بالفحش والبذاء والطعن في الايمان والوقوع في الاعراض حرام في الشريعة المطهرة ولا نتيجة له سوى التدابر والتضامن والنزاع والتفرقة وقطع الارحام وهجران المساجد وسدها واغلاق المدارس المؤدى الى اضعاف المسلمين وفشلهم وتسلط الاعداء عليهم كما وقع - فعلا - في بلادنا بفعل هذه الشرذمة التي ما زالت تسعى باسم الدين وراء منفعتها الخاصة دون المنفعة العامة.»

التداوى بالقرآن أو بأسماء الله تعالى

و جدير بنا ان نأتى بهذا الموضوع لانه من اشهر المواضع التى تثير الخلافات بيننا و بين الوهابيين فهم يرون ان من كتب شيئا من القرآن او من أسماء الله تعالى وعلق عليه سواء للتداوى به او للتحرز فقد كفر بالله ويرون ان فعله هذا نوع من السحرا و هو السحر ذاته. عفا الله عنهم حيث اوقعهم سوء فهمهم على مخالفة القرآن و الحديث فى هذا الموضوع قال الله تعالى: (وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ * الْاِسْرَاءُ: ٨٢) وقال ايضا: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ * فَصَلَتْ: ٤٤) و آيات الشفاء معروفة ومشهورة لورودها فى القرآن الكريم فى ستة مواضع فالقرآن قليله و كثيره شفاء من الأمراض الحسية و المعنوية و شفاء من الامراض الظاهرة و الباطنة بدليل ماورد فى الحديث: (الْفَاتِحَةُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ) رواه البيهقى. و قال عليه السلام: (خُذْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا شِئْتَ لِمَا شِئْتَ). و قال ايضا: (مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ لَأَشْفَاهُ اللَّهُ). و قالت عائشة رضى الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى رَقَاهُ جِبْرِيلُ» فقال: (بِسْمِ اللَّهِ يُبْرِيكُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُشْفِيكَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ). و روى عنها ايضا: «كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَعْذَاتِ وَيَنْفُثُ فِي يَدِهِ وَيَمْسَحُ بِهَا مَا بَلَغَ مِنْ جَسَدِهِ»

و هذا دليل على ان التداوى بالقرآن او بأسماء الله تعالى جائز و أخذ العوض عنه جائز كذلك لما روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال: «انطلق نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شئ فلم ينفعه فانوا به الى الرهط فقالوا لهم ان سيدنا قد لدغ وقد سعيناله بكل شئ فلم ينفعه فهل عند احد منكم شئ فقال بعضهم نعم و الله انى لارقى ولكن قد استصفناكم فلم تضيفونا فما انا براق حتى نجعلوا لى جعلنا «أني أجراً» فصالحوهم على قطع من الغنم فأخذ الصحابى يقرأ الفاتحة و يتفل عليه فقام الرجل يمشى وما به علة فاوفوهم جعلهم ولما رجعوا الى المدينة

اخبروا النبي بذلك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَحَقَّ مَا اتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ) رواه البخارى. هذا ولنا اسوة حسنة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم نجوم الهدى ويصح الاقتداء بهم فى كل شئ و الذين سبقونا الى هذا العمل الطيب و أخذوا منه الأجرة فأجازهم الرسول أكل هذه الأجرة وهو صلى الله عليه وسلم اعلم بما يجوز أكله وما لا يجوز.

و اما قولهم بأن الرقية هي الجائزة، لكونها هي الواردة فى الاحاديث والآثار الصحيحة، دون الكتابة للشرب و التعليق. و أن الكتابة حرام مطلقا، فهذا القول مردود لأننا لم نجد فى احكام الشريعة الاسلامية حكما يجوز التلفظ به و يحرم كتابته. فكل ما يجوز لفظه يجوز قطعاً كتابته، و مالا فلا!

و من المعلوم ان الكلمات التى يلفظ بها الراقى هي نفس الكلمات التى يكتبها الكاتب على السواء ولا يحتمل تجويز أحدهما مع تحريم الآخر فاللفظ و الكتابة أمران متحدان حكما و معنى يقوم كل منهما مقام الآخر.

و فى «الرسالة» لابن أبى زيد القيروانى: «ولا بأس بالمعاذة تعلق و فيها القرآن» و يكون مستورا بظاهر بقية الأذى ولا بأس أيضا بالرقية من غير القرآن حيث كان عربيا مفهوم المعنى كالمشتمل على ذكر الله و رسوله و أما مالا يفهم معناه كالكلمات العجمية و الطلاسيم المبهمة فلا تجوز الرقية بها لان الامام مالك رضى عنه سئل عن الأسماء العجمية قال: «وما يدريك أنها كفر؟» و قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِذَا فَرَعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ أُغُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَ عِقَابِهِ وَ شَرِّ عِبَادِهِ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَخْضُرُونَ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ) و كان عبد الله بن عمر يعلمهن من عقل من بنيه و من لم يعقل كتبها فى صك ثم علقها فى عنقه. «رواه ابو داود و النسائى و الترمذى» و يقول عليه السلام: (لَا تَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ). و يقول أيضا فى حديث آخر: (لَنْ يَخْفَلَ اللَّهُ شِفَاءَ أُمَّتِي فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهِ).

و يستفاد من هذين الحديثين على ان التداوى بأسماء الله تعالى و آياته يجوز مطلقا لأنه لو لم يكن جائزا - كما يفهم من سياق هذا الحديث لما شفى بها احد من الأمة، و قد اثبت التجارب أن ألفا أو ملايين من المرضى قد شفاهم الله بمحض إرادته ثم ببركة هذه

الآيات المكتوبة. و شأن هذه الآيات المستشفية بها، شأن غيرها من الادوية الاخرى و كلها لا تأثير لها في دفع الشر ولا في جلب الخير إلا ما كان من توفيق الله تعالى. هذا وليس من المعقول أن تكون العقاقير التي نروح ونغذو الى الصيدليات لشرائها طلبا للشفاء، أكثر أهمية وأعظم عند الله درجة من المعوذات وآيات الشفاء التي نكتبها هي ايضا لنفس الغرض. فكل من الآيات المكتوبة والعقاقير المشروبة والعمليات الجراحية المستعملة لاقوة لها في حد ذاتها لدفع المرض او استعادة الصحة ولكنها اسباب ووسائل ليس إلا! فالشافى الحقيقى انما هو الله وحده. ولقد اجاد من قال:

إِنَّ الطَّبِيبَ لَذُو عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ * مَا دَامَ فِي أَجْلِ الْإِنْسَانِ تَأْخِيرُ
حَتَّى إِذَا مَا انْقَضَتْ أَيَّامُ مُدَّتِي * حَارَ الطَّبِيبُ وَخَانَتْهُ الْعُقَاقِيرُ
اما احتجاج الوهابيين بالحديث القائل: (مَنْ عُلِقَ تَيْمِمَةٌ فَقَدْ أَشْرَكَ).

و الحديث القائل: (مَنْ عُلِقَ تَيْمِمَةٌ فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ وَمَنْ عُلِقَ وَدَعَةٌ فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ). فهو — على ما أعتقد — من الوهم اللغوى عندهم لأن التمايم معناها في اللغة «خَرَزَات» وهى ما ينظم في السلك من الجذع والودع وما يشبهها وقد كان الاعراب في الجاهلية يضعونها على اولادهم للوقاية من العين ودفع الارواح فلما جاء الاسلام نهاهم الرسول عن ذلك.

وعلى هذا فان المراد بالتمايم والودع في الحديث المذكور إنما هى تمايم الجاهلية و دعهم التى كانوا يعلقونها قبل الاسلام ولا يتصور حمل هذه الاحاديث على ما يكتبه المشايخ من الآيات القرآنية والاسماء الالهية للتعوذ بالله او لطلب الخير منه لما سبق ذكره من احاديث وآيات الشفاء ولعدم التجانس بين هذه وتلك!

و شتان بين خرزة منقوبة وورقة مكتوبة بحروف عربية ذات معنى صحيح مطابق بقوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا * الاعراف: ١٨٠)

والدعاء سواء كان باللفظ او بالكتابة و سواء للدنيا او للآخرة كله جائز لقوله تعالى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ * المؤمن: ٦٠) ولما في الحديث: (الدُّعَاءُ مِثْلُ الْعِبَادَةِ)

هذا وينبغى استمرار المنع لخصوص تلك الجذع والودع التى مازال بعض العوام يستعملونها حتى اليوم. و يجب منعها اياهم تبعا للاحاديث الصحيحة الواردة في عين هذه

الجدع والودع المعروفة.

واما كتابة هذه الآيات القرآنية وهذه الأسماء الالهية لقصد الضرر وظلم عباد الله كاهلاكهم مثلاً وإتلاف أموالهم أو لإدخال العداوة بينهم فهو المنوع الحرام يعاقب به فاعله والمفعول له معاً الآ من تاب وآمن وعمل صالحاً ويحرم كذلك الدخول بها في الأماكن النجسة والمواضع المقدرة. ويجب على المشايخ التنبيه عليه وتحذيره، وإن لا يكتسبونها إلا لمستحقها لغرض جائز شرعاً وتكون مستورة بظاهر كالجلد ونحوه وحينئذ لا حرج والله اعلم.

بيان أوجه التخالف بين الوهابيين أنفسهم

تختلف الآراء والاتجاهات من دعاة الوهابية إما باختلاف و كأن لكل واحد منهم أوامره ونواهيه الخاصة به ينفرد بها دون غيره وليس من السهل التوفيق بين هذه الآراء المختلفة وتلك الاتجاهات المتناقضة والجمع بينها.

وبما إن الواجب على المرء أن لا يقبل كل ما يقال عن شخص أو مذهب أو طائفة حتى يثبت لديه صحة ذلك، بأن يسمع من ذلك الشخص ما قيل عنه أو يقرأ كتبه أو يجتمع بأصحابه المقربين لذلك بذلت جهدي في تحصيل الكتب الوهابية لأقف على حقيقة هذه الدعوة قبل أن اصدر حكمي لها أو عليها وقد اطلعت على بعض هذه الكتب وقرأت شيئاً من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله كما اجتمعت ببعض وهابيين بلادنا البارزين واستمعت اليهم وفهمت مقاصدهم وخلال مقارنتي بين مقالات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبين ما هو عليه وهابيو بلادنا لاحظت اختلافاً جوهرياً في الأقوال والأفعال بل وفي العقائد بين الإدارة الوهابية وبين المتوهابين الآخرين وخاصة أولئك الموجودين معنا الذين يخالفون الشيخ تماماً وبصفة غير معهودة بين المتبوع والتابعين وذلك مما يؤكد بوضوح على أن الدعوة الوهابية قد أصابها داء التعصب والقوضى من قبل بعض المتطرفين والمنحرفين الذين سلبوا من هذه الدعوة جميع القيم والمثل العليا و

أقل ما يقال فيهم، هم اصحاب مراء وجدال استولى عليهم الجهل والتعصب.. بل هم قَوْمٌ خَصِمُونَ..»

وها انا انقل لك ايها القارئ الكريم بعضا من الرسائل التي كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى بعض أتباعه و التي ذكر فيها عقيدته وما هو عليه. قال رحمه الله بعد البسملة والصلاة على النبي: «أشهد الله و من حضرني من الملائكة و اشهدكم أني اعتقد ما اعتقده اهل السنة والجماعة من الايمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله. و أقر بكرامات الأولياء إلا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئا ولا اشهد لاحد من المسلمين بجنة ولا نار، الا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم ولكني ارجو للمحسن و أخاف على المسيء. ولا أكفر احداً من المسلمين بذنبه ولا اخبره من دائرة الاسلام. و أرى هجر أهل البدع و مباينتهم حتى يتوبوا و أحكم عليهم بالظاهر و أكل سرائرهم الى الله.

و نحن في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل ولا ننكر على من قلد الائمة الاربعة دون غيرهم. ولا نستحق مرتبة الاجتهاد ولا احد منا يدعيه.» انتهى ما نقلناه من رسائل الشيخ ابن عبد الوهاب التي بين فيها عقيدته وما هو عليه. [١]

ولكن لننقل لك ايضا - ايها القارئ الكريم - بعض المحاورات و المناظرات التي جرت بيني و بين الأصدقاء الوهابيين ليتبين لك عقيدة وهايبى بلادنا، و لتعلم أيضا بان جميع ما ذكرناه في هذا الكتاب من احوال الوهابيين انما هو عن علم اليقين. «و ليس الخبر كالعيان.» لقد قمت مرة بزيارة لمدينة «سيكاسو» فجاءني بعض الأصدقاء من الوهابيين للسلام على كالعادة ولما استقر بنا الجلوس شرعنا في الحديث عن الخلافات الدينية و تأثيرها في المجتمع و اقترحنا ان نتحدث فيما بيننا بنوع من الصراحة لنجد التفاهم و نزيل الخلافات القائمة بيننا. فابتدرت بالسؤال قائلا: لماذا خرجتم من المسجد و تركتم الصلاة معنا فهلاً نُصلي معاً فمن شاء منا يقبض يديه و من شاء يسدل كماهى الحال في كثير من المساجد؟ فأجابني احدهم قائلا: لا يا أخى المشكلة ليست في القبض او في السدل و لكننا في الحقيقة نعتبركم مشركين فلا نرى صحة الصلاة خلف واحد منكم ثم قلت له: لأى شئ تعتبروننا مشركين؟ قال: لأنكم تعلقون التمام و تتوسلون بالأنبياء و

(١) نقلناه من كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية و دعوته الإصلاحية»

الصالحين. فعلمت ان هذا الاخ مصاب بداء الجهل وهو بحاجة الى طيبب الارشاد. وتحدثت مرة اخرى مع صديق آخر منهم فقلت له: لو استطاع المسلمون ان يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفوفهم بدلاً من هذه الخلافات لكان خيراً لهم فأجابني الصديق: نعم ولكن لا يستطيع المسلمون ان يتحدوا الا اذا تمسكوا بالكتاب والسنّة وتركوا ما سواهما من المذاهب والطرق التي هي مصادر الاختلاف بين المسلمين. ومادام يقال هذا سالكتي وذاك شافعي وآخر حنبلي فإن الاتفاق بين المسلمين محال. فعلمت أيضاً ان هذا الاخير أشد جهلاً من الاول وقد بلغ به جهله ان يتكرّر كل شيء حتى على المذاهب الاربعة المجمعّة على صحتها.

وفي مدينة «قاونى» حيث بنوا مسجداً جديداً يؤدون فيه صلاة الجمعة بجوار الجامع العتيق تحدثت يوماً مع واحد منهم فقلت له: ما رأيكم في هذا المسجد الذى تقيمون فيه صلاة الجمعة هناك جامع عتيق غير ضائق وليس ثمّ عذر شرعى يمنعكم من الصلاة فيه؟ ومع ذلك فمسجدكم هذا في بعض الاوقات لا يجتمع فيه اثنا عشر رجلاً فكيف ترون صحة صلاة الجمعة في هذا المسجد؟ فقال لى شكراً على هذا السؤال ولكن لا تنس أن هذا التحديد الذى ذكرتموه من ان صلاة الجمعة لا تصح بأقل من اثني عشر رجلاً انما هو من قول الامام مالك رضى الله عنه فلسنا نحن متقيدين به ولا بغيره من الائمة فالمعمول عندنا ان صلاة الجمعة تصح باثنين وبثلاث وبأربع بلاحد.

وأعجب من هذا فقد جاءنى في العام الماضى اخ وهو من اهل البادية في نواحي «نيور» وقال لى بأنه جاءهم رجل من علماء الوهابية وأفتى لهم بجواز أداء صلاة الجمعة لكل شخص حيثما حضرته الصلاة سواء كان في القرية او في الفلاة، وحجته في ذلك أن المسلم حيثما صلى فهو يصلى مع جماعة من الملائكة وقال لى هذا الاخ بأنه شخصياً صلى صلاة الجمعة مع ثلاثة رجال من الوهابيين وورابعهم صلوا هذه الصلاة بلا خطبة ولا في مسجد مبنى، فسألنى ذاك الاخ عن صحة تلك الصلاة، وأمرته بالاعادة ظهراً، لعدم توفيتها شروط الجمعة.

ومن جملة ما يحرمه وهابيو بلادنا الصور «الْقُوْتُ غَرَائِيَّةٌ» حتى ان بعضهم لا يبيع ولا يلبس الأقمشة التي توجد فيها صور الاشخاص او الحيوانات ولا يخفى أن علماء

الحرمين الشريفين قد افتوا بجواز هذه الصور «الْقُوْتُوْغَرَايَّة» لأهميتها في شتى المجالات ولا حاجة لنا إلى السؤال هل الصواب مع هؤلاء المتطرفين ام الحق مع علماء الحرمين الشريفين؟

اما التدخين فليس بمحظور في شريعتهم على الأرجح لاجتماع غالبيتهم على استعمال هذه المادة الضارة فلا نزال نشاهد الدخان يخرج من فم الاخ الوهابي وهو لا يستحي ان يضر نفسه ولمن يقربه من نثر هذا الدخان بينما قرأنا في الكتب الوهابية بان الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يحرم التدخين.

فاذا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول صراحة بأنه مقر لكرامات الأولياء. ولا يكفر احداً من المسلمين بذنب وهو في القروع على مذهب الامام احمد بن حنبل فإن اتباعه اليوم قد خرقوا جميع هذه المقررات واستحقوا بأن نسميهم «وهَّامين» بدلا من الوهابيين لانتهاجهم سلوكا اخر غير الذي قرره الزعيم الوهابي.

و استناداً منا على هذه الحقائق المذكورة فإن الدعوة الوهابية قد تحولت هنا الى دعوة تجارية يستغلها البعض على حساب البعض الآخر.

و الوهابية هنا - على التحقيق - عبارة عن انكار أولياء الله تعالى، وعن التشديد في الدين، والتقليل من ذكر الله و الصلاة على نبيه المصطفى وأضيف الى ذلك عدم الاحترام للسادة المشايخ، ولآل بيت النبي فكل من تكونت في شخصيته هذه الصفات فهو الوهابي الكامل، الذي يسمى عندهم بالسني.

هل هم سُنيّون أم وهابيون؟

ينغالب البعض في هذه المسألة أسوأ الغلط حيث يسمون أنفسهم بالسنيين، بينما لا علم لهم بالسنة إلا اسمها ولا صلة لهم بها أكثر من ادعائها والتفاخر بها كأنها في نظرهم لقطة فلاة يختص بها اللاقط مهما كانت صفاته وكيفما ساء سلوكه وأخلاقه. ولكن هيهات ان تحقق الادعاءات نفعا، او تقيم لأصحابها وزنا.

ويزعم هؤلاء المعنيون انهم سنيون وليسوا بوهابيين والعجب كل العجب ان يدعى الجاهل انه سني او انه زعيم للدين بارزو وليس من المعقول ان يكون الجاهل سنيا فان العلماء أنفسهم عجزوا ان يكونوا سنيين حقيقيين إلا الخواص - وقليل ما هم - فكيف بالجهال الذين هم في واد والسنة النبوية في واد.

فالسنية عبارة عن اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والافتداء باقوالهم وأفعالهم وسلوكهم وأخلاقهم وذلك يقتضى العلم والعمل معا وبفقد الاول تكون سنية الجاهل محالا وبفقد الثانى تكون سنية العالم باطلا ولا بد من اجتماعهما معا وإلا فهي سنية اللسان لا غير فنحن لانقبل سنية الجاهل مهما طاللت لحيته او اشتد تنسكه. وفي الحديث: (سُرُّ أُمَّتِي رَجُلَانِ غَالِمٌ مُتَّهَتٌ وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ) وقال الشاعر:

فسادٌ كبيرٌ غَالِمٌ مُتَّهَتٌ * وَأكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ
هُمَا فِتْنَةٌ لِلْغَالِبِينَ عَظِيمَةٌ * لِمَنْ يَهْمَا فِي دِينِهِ يَتَمَسَّكُ

وقال الآخر:

«كَمْ لِحْيَةٍ ظَالَتْ عَلَى ذَنْبٍ جَاهِلٍ * وَمَا تَحْتَهُ إِلَّا الْعَبَاثُ وَالْجَهْلُ»

فالسنة النبوية تلاحظ صاحبها في جميع حركاته وسكناته وتراقبه في كل العبادات والمعاملات من المشي والكلام والأكل والشرب والبيع وغيرها وهى تفرض على المرء ان لا يفعل فعلاً حتى يعلم حكم الله فيه ويسأل العلماء ويقترئ بالمتبعين لسنة محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا نعرف ان السنة لا تكون في زى خاص ولا في هيئة معينة، بل هي اشرف من ان تستتر في مثل تلك الاماكن التى ان هى الآ حبال يصطاد بها ضعفاء العقول والعقيدة. وفي الحديث: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صَوْرِكُمْ وَلَا إِلَى أَقْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) رواه الطبرانى

هذا وقد نفهم من خلال هذا الحديث الشريف ان هذه الشعارات الايهامية التى يعتمد عليها بعض دعاة الوهابية والتى تتمثل في توفير اللحية ولبس البيض والتغطى بالعمامة وما الى ذلك لا تكفى بأن تكون تعريفا كافيا للسنى الحقيقى وهم - مع الاسف - قد اخطأوا في تقدير السنة حيث قيدوها في نوعية اللباس وفي ظواهر الهيئات.

وانما يعرف السنى بظواهر تقوى الله في السر والعلانية وبامتثال الأوامر واجتناب النواهي وبالصدق في القول والاخلاص في العمل وبالقيام بوظائف العبادات من الفرائض والسنن والنوافل وأدائها كاملة غير منقوصة.

ويعرف السنى كذلك بالتخلي عن الاوصاف الذميمة والاحوال الوضيعة والتحلل به بمحاسن الصفات ومكارم الاخلاق.

فمن شأن السنى ان يدعو الناس الى دين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة و يجادلهم بالتي هي أحسن. كما من شأنه أن لا يكون سباباً ولا لعاناً ولا فظاً غليظاً ولكن هيناً لينا يعفو ويصفح ويبر ولا ينفر اقتداء بالرسول الكريم القائل «لَمْ أَرْسَلْ سَبَاباً وَلَا لَعَاناً» و الذى قيل عنه: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ آل عمران: ١٥٩)

والسننى - بعبارة أوجز - هو من وضع قدمه على قدم الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث تكون أقواله وأفعاله مطابقة لأقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم يصدق لسان حاله لسان مقالته ويكون متصفا بمكارم الأخلاق في سائر احواله السرية والجهرية وفي جميع تصرفاته ومعاملاته مع الناس.

والسننى لا يتجاهر بسننيته ولا يتفاخر بها بل يخفيها قدر الامكان خوفا من الابتلاء وجريا على عادة السنيين الحقيقيين. ويكون السنى مجتنباً للكذب والغيبة والنميمة عازلاً عن حب هذه الدنيا الفانية وما فيها من الشهوات النفسانية راضياً بالقضاء

حلوه و مره لا يخطر بقلبه حسد ولا رياء ولا رؤية فضل على الغير ويكون شغله الشاغل مراقبة قلبه عن أن يدخله ما سوى الله و معالجته من امراض الكبر والحسد والمعجب والحرص و تطهيره من دنس الخواطر النفسانية والوساوس الشيطانية ويترك الهذرو الفضوليات و يتقى الشبهات في مأكله ومشربه وملبسه ويحذر الغش في بيعه و شرائه و يراعى حقوق جيرانه و يتحمل أذاهم و يوقر كبار المسلمين و يرحم صغارهم و يساعد الضعفاء و المحتاجين.

و يقدم المصلحة العامة على المنفعة الخاصة و يصل من قطعته و يعطى لمن حرمه و يعفو عن من ظلمه و يحب لغيره ما يحب لنفسه و يضيف السنى الى كل هذا الاحتساب الى الله و تفويض أمره اليه لا يأمن مكر الله ولا يقنط من رحمته بل يكون دائماً بين خوف و رجاء لا يزكى نفسه ولا يعجبه علمه او عمله لما فى الحديث: (النَّاسُ كُلُّهُمْ هَلَكَى إِلَّا الْعَالِمُونَ، وَالْعَالِمُونَ كُلُّهُمْ هَلَكَى إِلَّا الْعَامِلُونَ، وَالْعَامِلُونَ كُلُّهُمْ هَلَكَى إِلَّا الْمُخْلِصُونَ وَالْمُخْلِصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ.)

فتلك نبذة يسيرة من اخلاق السنى وهذه صفاته فانظر نفسك ايها الاخ الوهابى، فان كنت هكذا فأنت سنى حقاً. وإلا، فلا! وإياك ان تكون من الذين يقولون مالا يفعلون قال تعالى: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ الصَّف: ٣)

صدق الله العظيم

وجوب صلة الرحم وخطورة قطعها

فصلة الرحم واجبة في الكتاب والسنة والاجماع قال الله تعالى:

(وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ * النساء : ١)

ومعنى الآية - والله اعلم - اتقوا الله وصلوا ارحامكم ولا تقطعوها لاسباب غير شرعية وفي الحديث: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا الرَّحْمَانُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا إِسْمًا مِنْ إِسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ) رواه الطبراني عن جرير وقال عليه السلام: (الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ نَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَنِي اللَّهُ) أخرجه الطبراني والبيهقي و يروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدْخِرُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ)

ولهذا جاء الاسلام مهتما بشأن الارحام وحث المسلمين على صلتها ورعايتها في جميع المستويات وأكد لهم من ان قطعها مما يستوجب اللعنة وسوء العاقبة قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ * رعد : ٢٥)

وقد ظلت صلة الرحم عنصرا هاما من عناصر الدين وهدفا حيويا من اهداف الاسلام ولها اهمية كبرى في الدين والمجتمع ومن الضروري ان نوليها - نجد ايضا - اقصى ما يمكن من الاهتمام لأنها اى الرحم عاهد الله تعالى ان من قطعها قطعه الله ومن وصلها وصله الله والله لا يخلف الميعاد.

فمن واجبنا - نحن التلاميذ - وكل المسؤولين ان تعلم اخواننا المسلمين كيف يجب عليهم مواصلة ارحامهم وكيف يحسنون المعاشرة فيما بينهم وذوهم وما وعده الله للقائمين بهذه الواجبة الانسانية. ونحذرهم كذلك من مغبة قطع الارحام وتفريق وحدة المسلمين وما يترتب عليهما من الندم والخسران في هذه الدار وتلك الدار الآخرة. وفي الحديث: (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ) رواه الاصبهاني وقال عليه السلام: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) ومتفق عليه عن ابن عمر

فالسعيد من لم يكن سببا للتفريق بين الامة أو لأدخال العداوة بينها و يقول الرسول عليه السلام: (أَيْتَمَا رَجُلٌ قَامَ يُفَرِّقُ بَيْنَ امْتَي قَاضِرِي نَوَا عُنُقَهُ) و يَقُولُ أَيْضًا: (الْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَيقَظَهَا) رواه الديلمي

هذا وما دمنا في موضوع صلة الرحم فمن المناسب ان نورد هنا مسألة بر الوالدين و وجوب طاعتهمما والاحسان اليهما قولاً وفعلاً والدعاء لهما في حال الحياة و بعد الوفاة لانهما سبب الوجود وسر الحياة وخاصة الذين ربّيا كترية اسلامية. فعقوقهما من الكبائر التي يترتب عليها الوعيد والعياذ بالله. فلا يحثك على عقوقهما ومقاطعتهمما إلا عدوك الذي ينتهز فرصته ليختلس مالدك ثم يتبرأ منك يوم تقف بين يدي الله تعالى.

وهناك من افراد الوهابيين من يعوق والديه ويعتبرهما مشركين لا لشيء سوى انهما لم يستسلما للدعوة الوهابية أو لم يقبضا أيديهما في الصلاة ولايراعى فيهما حقوق الابوة ولايؤدى لهما واجب البنوة وهو يعرف ان أباه هو الذي أخذ بيده وهو صغير وذهب به الى المعلم ليعلمه مبادئ الاسلام وشرائع الدين فلما كبر هذا الولد المسكين وتوهب أبى الا ان يسمى اباه هذا مشركا عازما ان لايعامله الا بقدر ما يجوز التعامل به بين المسلم و المشرك.

وصار - بهذا القرار - ناسيا او متناسيا كل ما قدم له هذا الوالد من عناية ورعاية، وحنوا أيام مهده وصباه. وقد أنساه شيطانه أنه لو ذهب به ابوه يومئذ الى الكنيسة لصار رهبانيا او الى الكاهن لكان ساحرا عليما. فاذا كان هذا هو جزاؤك لوالدك ايها الولد فأين جزاء الاحسان بالاحسان؟

هذا ولا شك ان هناك أديبا مجرمة تحركهم من تحت الستار وتشجعهم على المضى بجاهم عليه من العقوق والتقاطع مع آبائهم وذويهم وتزين لهم سوء أعمالهم هذه بانها نوع من الجهاد وأنها من امثال اوامر القرآن حيث يقول الله تعالى: (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ * الْمَجَادِلَةُ : ٢٢) فاتقوا الله ايها الأولاد واذكروا قوله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا * الْاَسْرَاءُ : ٢٣) وقوله عليه السلام: (الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ) رواه الحاكم وصححه

خاتمة الكتاب

وفي الختام أرجو من الاخوة الوهابيين سامحني الله واياهم ان يرجعوا عن الانكار بما لم يحيطوا به علما وان يبادروا إلى التوبة بالندم على ما فات قال الله تعالى (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) وان يجتنبوا سوء الظن باخوتهم المسلمين قال تعالى: (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ * الْحَجَرَاتُ: ١٢) وقال: (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى * النجم: ٣٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) رواه احمد عن ابى هريرة وقال ايضا: (طوبى لمن شغل غيبه عن محبوب الناس) اخرجہ أبو نعیم هذا ولا بد من نهى المنكرايا كان مصدره لقوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ * آل عمران: ١٠٤) ولقوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيقَانِ) رواه مسلم والترمذى

ولكن يجب التمييز بين كبائر الاثم وصغائر الذنوب وبين ما يؤدى إلى الشرك وما يفضى الى الحرام ولا يجوز تكفير المذنب ولا تحريم المكروه

وقد جعل الله لكل شئ قدرا وهو سبحانه وتعالى المحلل والمحرم وليس لأحد تغيير احكامه، ولا تعدية حدوده وإنما عليه وضع النقطة على الحروف قال تعالى: (وَلَا تَقْعُدُوا عَلَى اللَّهِ لَآئِحِبُ الْمُؤْتَدِينَ * المائدة: ٨٧) وقال: (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ * الطلاق: ١) صدق الله العظيم

و على ضوء هذه الآيات البينات والاحاديث النبوية الشريفة نوجه ندائنا الى قادة الامة من العلماء والحكام وجميع اولياء الامور بصفة عامة ان يشاركوا على انقاذ هذه الامة التى تكاد تفقد دينها ودنياها و كل شرفها ومعنوياتها. فعليهم أن يؤدّدوا صفوفهم ويضاعفوا جهودهم و يعملوا لتحقيق فرص التفاهم والتآلف بين جماهير المسلمين و يستعين على هؤلاء القادة اينما كانوا ان يساعدوا - بكل ما هو ممكن - على حل الخلافات و

المشاكل القائمة - اليوم - بين افراد المسلمين وجماعاتهم خدمة للدين و الوطن والانسانية
جمعاء.

ومعلوم بالضرورة ان الخلافات كانت موجودة بين فئات المسلمين عبر القرون
والعصور. ولكنها لم تكن قد وصلت الى درجة تكفير المسلمين بعضهم بهم مثلما حدث
فعلا من بعض دعاة الوهابية المتطرفين الذين تضررت بهم الأخوة والدين والارحام معا.
وحبذا لو تدخلت الحكومات بصورة جذية في شأن هذه النزاعات الأشرعية و
وضعت حداً نهائيا لحل تلك الخلافات باعتبارها خرقا لقوانين الشرعية الاسلامية التي
يجب على الجميع تطبيقها. وإلا ضربت بقيود من حديد على أيدي اولئك المجرمين الذين
يسعون باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية. وإذا لم تقم الحكومات بواجباتها نحو حل
هذه الخلافات فإن عواقب الشعوب ستظل مضطربة وسينتهي الأمر إلى حروب أهلية
لا محالة.

و يتعين كذلك على ساداتنا المشايخ، المعلمين منهم والمرين وجميع الائمة
والوعاظ ان يشاركوا بدورهم على تحقيق هذه الغاية النبيلة و يعلموا أتباعهم وتلامذتهم
ضرورة توحيد المسلمين واحترام بعضهم بعضا. وان يلازموا الحذر كي لا يتخذهم الشيطان
وسيلة للتفريق والقاء العداوة بين المؤمنين. وعليهم ان يقدرُوا هذه المسؤولية الجسيمة التي
وضعها الله على عواتقهم والتي هم مسؤولون عنها امام الله. قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: (كَلِّكُمْ زَاعَ وَكَلِّكُمْ قَسْوَ عَنْ زَيْعَتِهِ) متفق عليه

وذلك ما نزيد ان يفهمه ايضا قادة الوهابية ليساعدوا الامة الاسلامية على جمع
كلمتها وحماية وحدتها بدلا من اثاره الفتن والخلافات بين صفوف المسلمين.
وهذا ما تيسر لنا جمعها من هذه المسائل على اننا نقدر بل ولم نحاول ان نستوعب
جميع ما تتطلبه هذه المواضع من الشرح الطويل و البحث الدقيق وانما هو امثال فقط
بوجوب النصيحة وإيمان بان الذكرى تنفع المؤمنين.

وفي الختام نتوجه الى الله القدير قائلين اللهم أيد الاسلام واجمع كلمة المسلمين و
وفقههم لرؤية الحق حقا وأعنهم على اتباعه ولرؤية الباطل باطلا وأعنهم على اجتنابه اللهم
انت الشاهد وكفى بك شهيدا ان اريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه

توكلت واليه انيب سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تقاريط العلماء

ولما انتهينا من كتابة هذه المؤلفه عرضناها على كثير من علمائنا المفقهيين و
أساتذتنا المشغفين في مختلف الاماكن والاوطان وطلبنا منهم ان يبدوا بأرائهم
وملاحظاتهم - وانتقاداتهم - بكل حرية - حول موضوعات هذه المؤلفه وعباراتها ورجونا
منهم كذلك ان يساعدوا على تحسين ما يصدر فيها من الخطأ والهفوات.

وقد تفضلوا مشكورين بتلبية طلبنا وتحقيق رجائنا. حيث قاموا بمراجعتها و
تصحيحها مرات عديدة وأدخلوا فيها مزيدا من التغييرات والتعليقات حسبما تتطلبه
الحاجة ويقتضيه الموضوع

وأخيرا أعربوا جميعا عن استحسانهم بهذه المؤلفه وتأييدهم لها. ونحن اذ نحمد
الله تعالى في البدايات والتمام فلا ننسى ان نشكر السادة العلماء على مشاركتهم معنا. في
تحقيق هذه المحاولة المتواضعة، وتشجيعهم إيانا تشجيعا بلغ الغاية.

ولأدلة على ذلك من هذه التقاريط التي كتبوها بمحض إرادتهم وبعثوها إلينا
من مختلف المدن والجمهوريات وفيما يلي نص تلك التقاريط على التوالى

حضرة الاخ الحاج مالك به : إننى راجعت الرسالة من اولها الى آخرها كباحث
و متفقد حرفا حرفا بل جملة او كلمة فوجدتها صحيحة و موافقة للموضوع الذى قمت لسيبه
وهو الرد على الوهابية. فكللمات الرسالة جديرة بأن تكتب باللجين.
فارجو من الله تعالى ان يزيدك فهما وان يعينك على الاصلاح ما استطعت وان
يجعل مثواك غدا مع الابرار وان يغفر للمسلمين أجمعين.

من الاخ ابى بكر جحتى
مدير مدرسة «سبيل الديانة» موبتى
جمهورية «مالى» MALI

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله و بعد فليعلم الواقف على هذه
الورقة أن قد طالعت هذا الكتاب بعين الرضى صفحة بعد صفحة فوجدته صحيحا فوق
الغاية مكتوبا بقلم الفصاحة والبلاغة والادب بل هى جريدة حسناء بلغت الغاية فى
الجمال.

فجزاك الله عن الاسلام خير الجزاء وأدام شمس سيادتك العلية ورعاك بعين
رعايته من حاسد اذا حسد والحمد لله على التمام ودمتم بخير وعافية.

الكاتب عثمان عبد الله سكلى
المدرس فى مدينة سنس عبد الله عصمه الله
جمهورية «مالى»

ومن مدينة تمباكندا - بالسنگال - بعث الينا الاستاذ جيران الحسين جاكوب بهذا
التقريظ القيم استهله بقوله:

قال الحسين بن محمود جاك: شهدت بالله لله فى الله بانك جاهدت جهدك فى
سبيل الله جزاك الله عن الاسلام خيرا من اجل فرحى كتبته الحروف بقولى:

للرد والتحقيق بل لتودد	الحاج مالك به أقصى برسالة
بعناية من فيض جود محمد	فبخب يخ لرسالة مرسومة
و دراية ومواهب من ماجد	برواية منقولة من سنة
فجزاه ربي بالجزاء الامجد	اسناده أى الكتاب المحكم
فرح الغيور لصون سنة احمد	فغرور والمغرور كل سادم
متجاهدا حتى تلاقي احمد	دم باحثا متضلعا متورعا
يهدى اليه هداة دين محمد	صلى عليه الله مادام الهدى
ومن انتمى يوم الدين محمد	والآل والاصحاب مع ازواجه

اهـ

الحسين بن محمود جاك
الخطيب الاسلامي بدار الاذاعة الوطنية
«تبا كندا» جمهورية السنغال

ومن مدينة كيهيد بالجمهورية الاسلامية الموريتانية اتصلنا بالتقريض التالى الذى بعثه الينا زميلنا هارون موسى جل معلم القرآن الكريم وهذا نصه: الحمد لله الذى قدر فهدى و الصلاة و السلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعد: ان الاخ المسلم و الصديق الملهم السيد الاستاذ الحاج مالك به جدير بان يكتب اسمه مع اسماء العظماء الذين ناضلوا وضحو ارواحهم وهدروا دمايتهم الغالية للحق ومن اجل الحق.

وان هذا التأليف لجدير ايضاً ان يكتب بماء الذهب والفضة و انى اقسم بالله: قد وضعت النقاط فوق حروفها وقد امطت اللثام عن حركات المشبوهين لدين الله والذين جاؤا بالبدع و كفروا كل من خالف بدعهم و اهواء هم الفاسدة. والله وقد زادوا الطين بلة لمخالفة رؤساء الاسلام فى مسئلة الاغاثة و اخطئوا فى التقدير رغم اجتهدهم فى الدين و كلمة التوحيد اقال الله عثرانا و عثراتهم.

وانا لنشكر الله عز وجل ثم نشكر الاخ على نصحه لجميع المسلمين سدد الله

خطاك ايها الاخ المسلم و يبارك فيك وفي قلمك الميمون.

هرون موسى جل
معلم القرآن الكريم في مدينة كيهيد
ج الاسلامية الموريتانية

الحمد لله الذي اهدى الينا السيد الفاضل الغيور والناصر المعين القائم لقمع
البدعة الوهابية الذين هم تركوا السواد الاعظم و خرقوا عصي الاجماع وظنوا انهم على شئ
استحوذ عليهم الشيطان واستولى عليهم حتى تركوا ذكر الله وأنكروا اولياء الله و شتموا
اهل الله وعباده الصالحين لعداوتهم وجرأتهم على الاولياء والصالحين ومن نظر الى هذه
المؤلفة بعين الانصاف وأنعم النظر فيها يعلم أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده.
اذ اخذ المبدعة لضرب رؤوس اولئك الذين يوحون بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً.
وهذا من اعظم الاجتهاد في سبيل رب العباد والذب عن الاولياء الصالحين
وعباد الله المقربين فجزاءه الله خير جزائه.

الحاج سعيد جل - بمكو
جمهورية «مالي»

ولما وقف على هذه المؤلفة الشريفة المريد الحقير عبد العزيز المنصور ابن الحاج
يوسف صمب الله دارمى. قال في مدح منشئها وراقمها بقلم العجالة والاضطراب هذه
الابيات:

لله درفتى أتى برسالة	من بحره الزخار ذات دلائل
عند راء لم تسبق بميدان الحمى	ردت دعاوى كل أحمق جاهل
يا مالك العالمين ظهير باطن	أبشر فسعيك واصل للعادل
صنت الطريقة اهلها برودوها	من مكر شرذمة بعزم مناضل

نرجو بك النصر المبين لنهجننا
اعطاك ربك مبتغاك بهذه
عبد العزيز كتبها بعجالة
انى احبك فى الاله واحد
لطريقة القطب الشهير الواصل
وبتلك بالهادى الامين الفاضل
إذ فى القطاريقونى بتمايل [١]
ختم الرسالة والولاية عامل

الاستاذ عبد العزيز دارمى امام الجامع فى مدينة بنقام جمهورية سيراليون
SIERRA LEON

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل الكتاب على عبده وجعله منهاجا لكل عابد او اب وامره
فيه بان يدعوا اليه بالحكمة والموعظة الحسنة (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة النحل: ١٢٥) والصلاة والسلام على معدن الحقائق ومرشد الخلائق القائل
(نصر الله امرا سمع منا فبلغه كما سمعه) قرب مبلغ اوعى من سامع سيدنا محمد الهادى
الى صراطه المستقيم وعلى آله واصحابه حق قدره ومقداره العظيم.
وبعد: فقد اطلعت على - تأليف اخينا فى الله الاستاذ الاديب الاريب الذى انار
الله عقله لخدمة الاسلام والمسلمين السيد (بالحاج مالك) ابقاه الله منارا لكل سالك،
فوجدته مع صغر حجمه احسن وافضل كتاب الف فى هذا الجانب، ولم اتمالك نفسى ان
قلت موجزا:

تبلج نور فى ظلام جهالة
فبدد او هام الضلال التى بها
على يد شاب مسلم متورع
عنيت به شمس الهداية مالكا
قلله دره فتى متشمر
ابان لمن رام السعادة والرضى
مبيننا لنا حقا منار الطريقة
يضل بعض المدعين لسته
فقيه نزيه ذى تقى ومسروعة
حياه الاله نبيل افضل منية
لنصرة دين الله فى كل لحظة
سبيل الهدى مستسهلا كل صعبة

(١) لقد كتب سيادته هذا التكريظ ونحن على متن القطاريقونى مدينة خامي - وبمكة العاصمة

وابدى لسالك بكل نصيحة	اضاء لنا نهج الحقيقة واضحا
و يرشد جاحدا باوضح حجة	تفيض العلوم من يديه غزيرة
حقائق ترري للدعي بحكمة	اتى بعجيب حين عبر معلنا
بنص صريح من كتاب وسنة	حقائق اسلامية تزهر باطلا
ظلم كذوب ناسخ للشريعة	حقائق تحصى عن بذاءة جاهل
على مؤمن صونا الافضل ملة	ولن يجعل الله السبيل لظالم
على الحق حتى لانبالي بلومة	فيارب وحدين كل الطوائف
بامثاله حتى نفوز بوحدة	دعوناك ربى ان تمّن لعصرنا
وابدل له عماهقا بفضيلة	فيارب جازه على ما اجاده
ووفرله فيضا باحسن فيضة	وسامح لمحمود وبلغه للمنى
تدوم عليهم من ذكور ونسوة	وعمم لكل المسلمين برحمة
واصحابه دوما الى يوم بعثة	وصل على الهادي الكريم وآله

ونرجو الله ان تكون هذه نقطة بداية ينطلق منها ابناء بلادنا المثقفون المخلصون لدينهم الى تمحيص عقيدة الاسلام من الخرافات والاوهام التى يروجها الانتهازيون الذين ينتحلون اسم الدين سعيا وراء اغراضهم الشخصية نسأل الله الهداية والتوفيق انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير.

الفقير الى الله محمود سليمان بوصو
المدرس بمدرسة «هدى الله» ص.ب: ١٨٣٦ بامكو
جمهورية «مالى»

حمد المن أسدى جلائل الايادى واسدل بسط العلم على من حباه من الخواضر
والبوادى. وحصر مذاهب الائمة الاربعة والطرق الصوفية فى الكتاب والسنة. وجعل
مقلديهم من خيرة اهل السنة والجماعة. وصلاة وسلاما على مظهر الحقيقة والحق سيدنا
محمد ناصر الحق بالحق.

وبعد وانسى لما من الله على بمطالعة ما آلفه صديقنا الصفي وحيبنا الروحي
السيد الحاج مالك به ونظرت اليه بعين التأمل والانصاف فوجدته صحيحاً للغاية فحق
وأيسم الله لكل مقلد للامام مالك. ولكل منصف سبيل القصد سالك. أن يستشهد عند
وقوفه على ما اوتى مؤلفه من المعارف والمدارى بقول جمال الدين الامام مالك حين قال: و
اذا كانت العلوم منحا الهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ما
عسر فهمه على كثير من المتقدمين وأرجوان يجادل عنه الامام رضى الله عنه في دار البقاء
جزاء بمجادلته عنه في دار الفناء. وان يكف عنه اكف القابضين ويقطع بسيف تحقیقاته
رقاب ذوى التنطع الغالين بجاه سيد الاولين والآخرين والحمد لله رب العالمين

عثمان ابن عبد الله يقادو

مدرس القرآن الكريم في مدينة قيديتي

ثيتور ج. مالى

تم بعون الله وحسن توفيقه تأليف هذا الكتاب وترتيبه وذلك مساء الجمعة ٧ من
شعبان عام ١٤٠٣ هجرية سنة ١٩٨٣ ميلادية نسأل الله سبحانه ان يجعل هذا
العمل خالصا لوجهه الكريم ومقبولا لديه وصلى الله على سيدنا محمد وآله، وصحبه
اجمعين.

فهرسة الكتاب

الموضوع	الصفحة
١ اهداء الكتاب	٣
٢ مقدمة الكتاب	٤
٣ خطبة الكتاب والباعث الى وضعه	٦
٤ الاسلام واهدافه في توحيد الأمة	٩
٥ الحركة الوهابية وتأثيرها في المجتمع	١٥
٦ الوهابية ومنعها التوسل بالأنبياء والصالحين	٢٢
٧ ما هو الشرك وكم أنواعه؟	٣٠
٨ الوهابية وانكارها للبدع مطلقا	٣٤
٩ بيان في احكام الطرق والاوارد الصوفية	٣٧
١٠ الوهابية ونفيها بتقليد أئمة المذاهب	٤٢
١١ مسألة القبض والسدل	٤٥
١٢ التداوى بالقرآن او باسماء الله تعالى	٥١
١٣ بيان اوجه التخالف بين الوهابيين أنفسهم	٥٤
١٤ هل هم سنيون ام وهابيون	٥٨
١٥ وجوب صلة الرحم وخطورة قطعها	٦١
١٦ خاتمة الكتاب	٦٣
١٧ تقاريظ العلماء	٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى يهدى من يشاء الى الاسلام والصلاة والسلام على رسوله
صلى الله عليه وسلم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ايها الاخوة الأعزاء اببلغكم التحيات
الطيبة بلا حد وبعد:

رأيت اماما من الوهابيين فى موضع الوعظ فى مدينة يوبو جلسوء وسمعت
وعظه وبعد فراغه منه اتيته وقلت له: ايها الامام انت وجماعتك كلكم فى ضلال
مبين فغضب علي وقال لى: كيف تقول هذا القول؟ فأجبتة قائلا: قد استلمت
كتابا من تركيا يسمى بـ (علماء المسلمين والوهابيون). عند ما قرأت هذا
الكتاب عرفت انكم فى ضلال مبين. فقال لى: اريد ان اقرأ هذا الكتاب فأعطيته
له وقرأ الكتاب بتمامه فى ثلاثة ايام. فرد على الكتاب وقال لى ما اسمك يا
عزيزى فأجبتة بأن اسمى غامسورى عمر فقال قد صدقت يا عمر وعرفت الآن
اننا كنا فى ضلال مبين واترك انا واهلى هذا الطريق الباطل واتوب الى الله تعالى
توبة نصوحا واخذ يأتينى حينما فحينما ويشكر لى فى كل فرصة فأهديت له ذلك
الكتاب مع كتاب (مفتاح الفلاح)

ونشكر لكم شكرا جزيلا وندعولكم سعادة الدارين ونطلب منكم
الدعاء وارسال مجموعة من الكتب التى طبعتها مطبعة الاخلاص
وفى ختام رسالتى احمد الله تعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوكم فى الله غامسورى عمر

بسم الله الرحمن الرحيم

محالي الشيخ الاغر الكبيرت الاحمر حسين حلي بن سعيد
استانبولي تركية والى سائر الاخوة الاعزاء ارحم الله اوقاتكم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحمد الله سبحانه الذي لا اله الا هو ونشكره على ما اسفغ علينا

من نعمه التي لا تحصى ونصلي على رسول الله خاتم النبيين وامام

المجاهدين وعلى آله واصحابه اجمعين

ونشكر ساحتكم الكريمة لما تقومون به وتبذلونه من جهد

كبير ونسب كثير نحونا ونحو طلاب معهد روضة الاسلام

بجزاكم الله عنا وعن الاسلام خيرا كثيرا

وبعد : فيمعدني جدا ان احيطكم علما باذ جميع ما

تلقينا من ساحتكم الكريمة من كتب اسلامية

صوفية وما تلقتها طلاب معهد روضة الاسلام

قد وصل جميعها الينا ويبلغ عدد المبعوثة الينا والى

الطلاب مائتي ملعة وكل ملعة ثلاث كتب او ما يزيد

ومكتوب على كل ملفات اسم صاحبها من الطلاب والمدرسين

ويبلغ نصيب كل منهم خمسة كتب فصاعدا

ونرجو من ساحتكم الكريمة ان لا تقطعوا عنا هذه المشروع

الكريم والله وحده يكافئكم ويجازيكم غير اننا فقراء مالنا

يد طولى تصل اليكم ولكن مع كل ذلك سنبذل جهد المستطيع

فيما طلبتموه من العامة ارسال التبرعات في شكل القسيمة

ان شاء الله تعالى

سنة ١٤٠٤
١٣٦٢ هـ
٥ ش.

بسم الله الرحمن الرحيم
على الاخوان الاعزاء يرأسهم الشيخ الأكبر حسين علي
ابن سعيد استاذي تربية امجد الله اوقاتكم واطال حياتكم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
يسرني جدا ان تقدموا الى الطلاب الجاهلين والجميع
الاخوان في انحاء العالم هذه النسخة الموجهة وانصها

أمة الإسلام اعلوا ان عقائد الوهابية منحصرة في اربعة اشياء
١ اهانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه طارقه
٢ اهانة اولياء الله الكرام رضي الله عنهم اجمعين
٣ تكفير السواد الاعظم الموحدين
٤ تجسيم الله سبحانه وتعالى

وَنَذَرُكُمْ تَحْتَ الْآيَاتِ

وَالنَّصِيحَ فَرَضَ عَلَى الْإِخْوَانِ فِي الْحَكِّمِ
قَدْ سَأَعَ إِشْلَاقُهَا فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ
فَضَّلَ عَلَى سَائِرِ الْأَشْيَاءِ كَالرَّمِيمِ
وَأَنَّهُ طَارِقٌ لَا قَارِعَ النَّهْمِ
مُلْتَمِسُ الْخَيْرِ أَنْتَ عَابِدُ الصَّمِّ
عَلَى كَمَاءٍ فَكَيْفَ كَانَ فِي الْقَدَمِ
مِنَ الْبَقَايِ وَضَعُوا الْعَقْلَ وَالصَّمِّ
يَسْمُوهُ الْمُتَوَحِّدُ بِالْإِشْرَاقِ وَالْوَحْمِ
سَادَاتِنَا ٤ إِلَهَ وَالْقَسْبَ لِلَّهِم

إِنِّي نَصِيحٌ لَكُمْ يَا أَفْضَلَ الْأَهْمِ
أَنَّ الْوَهَابِيَّةَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْمَلِكِ
يَقُولُ مَا لَهَا النَّيُّ لَيْسَ لَهُ
وَأَنَّهُ لَا يُطِيقُ الشُّعْخُ لِلْبَشَرِ
يَقُولُ مَا لَهَا ٥ إِنْ زِلْتَ ذَاكَ كَرَمِ
يَقُولُ مَا لَهَا الرَّحْمَنُ مُتَجَلِّسٌ
عَمَّتْ بِهَيْمَتِهِمْ عَنْ مَسْكِ الرَّسَدِ
بِالْيَتَهْمِ يَعْلَمُونَ مَا عَدَّ لَمَن
صَلَّى إِلَٰهَةً عَلَيْهِ خَيْرُ الْوَرَى وَعَلَى

جمهورية مالى

Rep. مالى

ابيات طالب المعهد روضة الاسلام

مهر الشيع جبر بن محمد العربي جبر

أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الصَّيَّافِ

اتِّحَافُ أَهْلِ الزَّمَانِ بِأَخْبَارِ مُلُوكِ تُونِسَ وَعَهْدِ الْأَمَانِ

تَحْقِيقُ لِحَمْدَةِ مَكْتَابَةِ الدَّوْلَةِ لِلشُّؤْنِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْأَخْبَارِ

نَشْرُ مَكْتَابَةِ الدَّوْلَةِ لِلشُّؤْنِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْأَخْبَارِ

تُونِسَ 1963

وفي الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة 1229 . تسع وعشرين ومائتين وألف (الائنين 13 جوان 1814 م) ، ورد البشير من الدولة العلية العثمانية ، بأخذ الحرمين الشريفين من يد الوهابي ، وأعلنت مدافع الحاضرة سرورا بذلك .

ولا بأس أن نلمّ بخبر هذا الوهابي :

وهو أن رجلا يقال له محمد بن عبد الوهاب ، من تلاميذ الشيخ ابن تيمية الحنبلي ، منع زيارة القبور ، حتى قبور الانبياء ، ومنع التوسّل بهم الى الله تعالى ، والبناء على قبورهم وصرّح بكفر من يفعل ذلك وسمّاه مشركا ، زاعما أن الزيارة والتوسل عبادة ، وهي لا تكون الا لله تعالى . وترامت بهذا الرجل الاسفار الى أن استقرّ بالدرعية من أرض نجد ، فصادف بها آذانا واعية ، وقلوبا من العلم خاوية ، وألقى لكبيرهم سعود هذا المذهب ، واستدلّ له بظواهر آيات وأحاديث اغترّ بها عامتهم حتى استباحوا قتال المسلمين . ولم يزل هذا المذهب ينمو الى أن أفضى الامر لسعود بن عبد العزيز بن سعود ، القائم الاول ، فعظم الامر في زمنه ، ونصب حربا للمسلمين عموما ، ولاهل الحجاز خصوصا ، وصدهم عن بيت الله الحرام ، وزيارة قبر سيد الانام ، وعاث في أهل الحجاز ، وأطلق يد القتل والنهب فيهم . واستحكم هذا المذهب في قلوب أتباعه ، والتحموا به التهام النسب . واشتدت عصبيتهم وقويت ، فطلبوا غايتها وهي الملك والسلطان . وأقاموا دعاة يدعون الناس الى مذهبهم ، مع رسائل وجهوها لآفاق المسلمين ، فوصلت منها رسالة للقطر التونسي نصّها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شر أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهدي الله فلا مضلّ له ، ومن يضلّل الله فلا هاديّ له ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله . من بطع الله ورسوله فقد رشّد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ، ولا يضرّ الا نفسه ولا يضرّ الله شيئا . أما بعد ، فقد قال الله تعالى : « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (١) . وقال الله تعالى : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ »

ذُئِبَكُمْ» (١) . وقال الله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » (٢) . وقال الله تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » (٣) ، فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمرنا يلزوم ما أتى به إلينا من ربنا . وترك البدع والتفرق والاختلاف . وقال تعالى : « اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ » (٤) . وقال تعالى : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٥) .

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته آخذة ما أخذه الامم قبلها شيئا فشيئا وذراعا فذراعا . وأخبر في الحديث أن أمته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة كلُّها في النار الا واحدة . قالوا : « من هي يا رسول الله ؟ » قال : « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .

واذا عرفت هذا ، فمعلوم ما عمت به البلوى من حوادث الامور التي أعظمها الإشراف بالله . والتوجه الى الموتى ، وسؤالهم النصرة على العبدى ، وقضاء الحاجات . وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها الا رب الارض والسماوات ، وكذلك التقرب اليهم بالنذور ، وذبح القرابات ، والاستعانة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد ، الى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح الا لله تعالى .

وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها ، لانه سبحانه أغنى الاغنياء عن الشركاء . ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لوجهه ، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والانبياء والصالحين ليقرَّبوهم الى الله زلفى ، ويشفعوا لهم عنده . وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار .

وقال تعالى : « وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِئُوكُم بِاللَّهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » (٦) . فأخبر

أن من جعل بينه وبين الله وسائط لأجل الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم ، وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : « قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا » (١) و « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » (٢) وقال تعالى : « يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا » (٣) . وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى : « وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى » (٤) . فالشفاعة حق ، ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله ، كما قال تعالى : « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » (٥) . وقال تعالى : « وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَلَئِنْ لَكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ » (٦) . فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدمُ فَمَنْ دونه تحت لوائه ، لا يشفع إلا بإذن الله ، ولا يشفع ابتداء ، بل يأتي فيخيرُ الله ساجدا ، فيحمده بمحامد يعلمه إياها ، ثم يقول له : « ارفع رأسك وقل تَعَطَّ وَاشْفَعْ تَشْفَعُ » ، ثم يتحيدُ له حداً فيدخلهم الجنة ، فكيف بغيره من الانبياء والاولياء ؟ وهذا الذي ذكرنا لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين ، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهاجهم . وما حدث من سؤال الانبياء والاولياء من الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وإسراجها والصلاة عندها وجعل الصدقة والنذور لها ، فكل ذلك من حوادث الامور التي أخبر بوقوعها النبي صلى الله عليه وسلم أمته وحذر منها ، كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يُلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى تَعْبُدَ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْاَوْثَانَ » .

وهو صلى الله عليه وسلم حتمى جانب التوحيد أعظم حماية ، وسدَّ كلَّ طريق موصل الى الشرك ، فنهى أن يجتصص القبرُ ويبنى عليه ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر ، وثبت فيه لفظ : أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً الا سوءاً . ولذلك قال غير واحد من العلماء : « يجب هدم القباب المبنية على القبور » ، لانها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) س ١/٣٩ - ٤٤ (٢) س ١/٢٥٥ - ٣ (٣) س ١/٢٠ - ١٠٩ (٤) س ١/٢١ - ٢٨ (٥) س ١/٧٢ - ١٨
(٦) س ١/١٠ - ١٠٦

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس ، حتى آل الامر الى أن كفرنا وقَاتَلُونَا واستَحَلُّوا دِمَاءَنَا وَأَمْوَالَنَا . حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم ، وهو الذي ندعو الناس اليه ونَقَاتِلُهُمْ عليه ، بعد ما نَقِيمُ عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله واجماع السلف الصالح من الائمة ، محتملين لقوله تعالى : « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ » (1) . فمن لم يُجِبِ الدعوة بالحجة والبيان ، دعوانه بالسيف والسنان ، كما قال الله تعالى : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ » (2) .

وندعو الى اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، ولله عاقبة الامور .
فهذا ما نعتقد وندين الله به ، فمن عَمِلَ على ذلك فهو أخونا المسلم ، له ما لنا وعليه ما علينا .

ونعتقد أيضا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة ، وانه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصوره ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك . انتهى .

ولا يخفى أن هذا الرجل ، بنى شبهته على أن التوسل الى الله ببركة الانبياء فَمَنُ دُونَهُمْ عبادة ، والعبادة لا تكون الا لله ، ومن فعل ذلك فقد أشرك بالله . وما درى أن العبادة الشرعية هي التكاليف التي اشتملت عليها الشريعة ، سواء كانت معقولة المعنى أو تَعَبُّدِيَّةً ، وأن ما خرج عن التكاليف الشرعية ليس من العبادة في شيء . ولم يفرّق بين البدعة الموصلة الى الكفر ، المقتضي للقتال ، واستباحة الدماء والاموال ، وبين غيرها ، وانما قصد ملكا يربد الحصول عليه بعصية دينية .

ولما شاعت هذه الرسالة في القطر التونسي ، بعث بها الباى أبو محمد حمودة باشا الى علماء عصره ، وطلب منهم أن يوضحوا للناس الحق ، فكتب عليها العلامة المحقق ، نسيجٌ وَحْدِهِ ، أبو الفداء اسماعيل التميمي ، كتابا مطوّلاً بديعا ، يدل على يد طوّلى

وسعة اطلاع ، سماه « المنح الالهية في طمس الضلالة الوهابية » ، وأجاب عنها العلامة المحقق فخر عصره أبو حفص عمر ابن المفتي العلامة فخر المذهب المالكي أبي الفضل قاسم المحجوب ، برسالة بديعة مشتملة على الرد عليه ، في قصده الذي صرح به والذي أشار اليه ، وهي المطابقة لمقتضى الحال ، فذكرها عوض ما أضربنا عنه من المقامات . وأشعار التكبسب التي لا تفيد الا التقرب للممدوح . ونصها :

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (1) ،
رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَتَجْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ (2) . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ
ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ (3) . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ
وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِّنْ رَبِّهِمْ
وَرِضْوَانًا وَإِذَا حُلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَن
صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا
تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (4) .

أما بعد هذه الفاتحة . التي طلعت في سماء المفاتحة ، فانك راسلتنا تزعم أنك
القائم بنصرة الدين ، وانك تدعو على بصيرة لِمَا دعا اليه سيد الاولين والآخرين ، وتحث
على الاقتفاء والاتباع ، وتنهى عن الفرقة والابتداع ، وأشرت في كتابك الى النهي عن
الفرقة واختلاف العباد ، فأصبحت كما قال الله تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ
قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ
وَإِذَا قُوتِي فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ
لَا يَحِبُّ الْفُسَادَ (5) .

وقد زعمت أن الناس قد ابتدعوا في الاسلام أمورا ، وأشركوا بالله من الاموات
جمهورا ، في توسلهم بمشاهد الاولياء عند الارمات ، وتشققهم بهم في قضاء الحاجات ،
ونذر النور اليهم والقربات ، وغير ذلك من أنواع العبادات ، وان ذلك كله اشراك برب

الارضين والسموات ، وكفر قد استحللتم به القتال وانتهاك الحرمات ، ولعمر الله أنك قد ضللت وأضللت ، وركبت مراكب الطغيان بما استحللت ، وشئت وهوت ، وعلى تكفير السلف والخلف عوت ، وما نحن نحاكمك الى كتاب الله المحكم ، والى السنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

أما ما أقدمت عليه من قتال أهل الاسلام ، وإخافة أهل البلد الحرام ، والتسلط على المعتصمين بكلمتي الشهادة ، وأدتمت اضرار الحرب بين المسلمين وإيقادة ، فقد اشترتكم في ذلك حطام الدنيا بالآخرة ، ووقعتم بذلك في الكبائر المتكاثرة ، وفوقتم كلمة المسلمين ، وخلعتم من أعناقكم ربقة الطاعة والدين ، وقد قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ » (1) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - أَيَّ مُحَمَّدٍ رَسُولَ اللَّهِ - فَإِذَا قَالُوا عَصِمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » .

وحيث كنت لكتاب الله معتمدا ، ولعماد سنته مستندا ، فكيف بعد هذا - ويحك - تستحل دماء أقوام بهذه الكلمة ناطقون ، وبرسالة النبي صلى الله عليه وسلم مصدقون ، ولدعائم الاسلام يُقيمون ، ولحوزة الاسلام يحمون ، ولعبدة الاصنام يقاتلون ، وعلى التوحيد يناضلون ، وكيف قذفتكم أنفسكم في مهواة الالحاد ، ووقعتم في شق العصا والسعي في الارض بالفساد ؟ .

وأما ما تأولته عليهم من تكفيرهم بزيارة الاولياء والصالحين ، وجعلهم وسائط بينهم وبين رب العالمين ، وزعمت ان ذلك شنشنة الجاهلية الماضية ، فنقول لكم في جوابه : معاذ الله أن يعبد مسلم تلك المشاهد ، وأن يأتي اليها معظما تعظيم العابد ، وأن يخضع لها خضوع الجاهلية للأصنام ، وأن يعبد بها بسجود أو ركوع أو صيام ، ولو وقع ذلك من جاهل لانتفض اليه ولالة الامر والعظماء ، وأنكره العارفون والعلماء ، وأوضحوا للجاهل المنهج القويم ، وهدوه الصراط المستقيم .

وأما ما جنحت اليه ، وعوات في التفكير عليه . من التوجه الى الموتى وسؤالهم النصرة على العبدى . وقضاء الحاجات . وتفريج الكربات . التي لا يقدر عليها الا رب الارضين والسموات ، الى آخر ما ذكرتم ، مؤقدا به نيران الفرقة والشئات ، فقد أخطأت فيه خطأ مبينا : وابتغيت فيه غير الاسلام دينا . فان التوسل بالمخلوق مشروع ، ووارد في السنة القويمة ليس بمحذور ولا ممنوع ، ومشارع الحديث الشريف بذلك مفعمة ، وأدلتة كثيرة محكمة ، تضيق المهارق عن استقصائها ، ويكيل البراع اذا كلف باحصائها ، ويكفي منها توسل الصحابة والتابعين ، في خلافة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، واستقائهم عام الرمادة بالعباس ، واستدفاعهم به الجذب والباس ؛ وذلك أن الارض أجذبت في زمن عمر رضي الله عنه ، وكانت الريح تذرو ترابا كالرماد لشدة الجذب ، فسميت عام الرمادة لذلك ، فخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس بن عبد المطلب يستقي للناس ، فأخذ يَضْبَعِيْهِ ، وأشخصه قائما بين يديه ، وقال : اللهم إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ ، فانك تقول وقولك الحق : « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » (١) ، فحفظتهما لصالح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيك في عمه ، فقد دنونا به اليك مستغفرين ، ثم أقبل على الناس وقال : استغفروا ربكم انه كان غفارا ؛ والعباس عيناه تنضحان يقول : اللهم أنت الراعي لا تُهْمِلِ الضالَّةَ ولا تدعِ الكسيرَ بدار مضبعة . فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فَأَغِثْهُمْ بِغِيَاثِكَ قَبْلَ أَنْ يَقْسَطُوا فِيهِ هَلَكُوا ، انه لا يباس من رَوْحِكَ الا القومُ الكافرون ، اللهم فَأَغِثْهُمْ بِغِيَاثِكَ فَقَدْ تَقَرَّبَ الْقَوْمُ إِلَيْكَ بِمَكَانَتِي مِنْ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فنشأت سحابة ، ثم تراكمت ، وماست فيها ريح ، ثم هزت ، ودرت بغيث واكيف . وعاد الناس يتمسحون بردائه ويقولون له : هنيئا لك ساقية الحرمين .

فأخبرني - يا أبا العرب - هل تكفر بهذا التوسل بعمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، وتكفر معه سائر من حضر من الصحابة والتابعين ، لكونهم جعلوا بينهم وبين الله واسطة من الناس ، وتشفعوا اليه بالعباس ، وهل أشركوا بهذا الصنيع مع الله

غيره ، وما منهم الا من أنهضته للدين القويم غيرته . كلاً والله ، وأقسم بالله وتالله ، بل مكفرهم هو الكافر ، والحائد عن سبيلهم هو المنافق الفاجر ، وهم أهدي سبيلاً ، وأقوم قبلاً . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « اقتدوا بمن بعدي ، أبي بكر وعمر » . وإذا قدحت في هذا الجمع من الصحابة الذين منهم عثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب وغيرهما ، فمن أين وصل لك هذا الدين ، و[من] رواه لك مبلغاً عن سيد المرسلين ؟ ثم ما تصنع با هذا في الحديث الآخر الذي رواه مسلم في صحيحه مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وسلم في أويس ، وأنه أخبر به عليه الصلاة والسلام وهو من أعلام النبوة ، وأمر عمر بطلب الاستغفار منه ، وأنه طلب منه ذلك واستغفر له . وقد قال الله تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام : « يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ » (١) .

فالزائر للأولياء والصالحين اما أن يدعو الله لحاجته ، ويتوسل بسرّ ذلك الولي في إنجاح بُغيته ، كفعل عمر في الاستسقاء ، أو يستمدّ من المزور الشفاعة له وإمداده بالدعاء ، كما في حديث أويس القرنيّ ، اذ الاولياء والعلماء كالشهداء أحياء في قبورهم ، انما انتقلوا من دار الفناء الى دار البقاء .

فأيّ حرج بعد هذا يا أيها القائم للدين ، في زيارة الاولياء والصالحين ؟ وأي منكر تقوم بتغييره ، وتفتحم شقّ العصا وإضرار سعيه ؟ ولعلك من المبتدعة الذين ينكرون أنواعا كثيرة من الشفاعة ، ولا يثبتونها الا لاهل الطاعة ، كما أنه يلوح من كتابك انكار كرامات الاولياء ، وعدم نفع الدعاء ، وكلها عقائد عن السنة زائغة ، وعن الطريق المستقيم رائغة .

وقولكم ان ما قلتموه لا يخالف فيه أحد من المسلمين ، افتراء وميّن ، والحاد في الدين ، لان أهل السنة والجماعة ، يثبتون لغير الانبياء الشفاعة ، كالعلماء والصلحاء وآحاد المؤمنين ، فمنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للقيّام من الناس ، كما ورد أيضاً أن أويس القرني يشفع في شل ربيعة ومضر . وأما المعتزلة فانهم منعوا شفاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم ، وأثبتوا الشفاعة العظمى من هول الموقف ، والشفاعة للمؤمنين المطيعين أو النائبين في رفع الدرجات ، ولم يثبتوا الشفاعة لاهل الكبائر الذين لم يتوبوا ، في النجاة من النار ، بناء على مذهبهم الفاسد من التكفير بالذنوب ، وأنه يجب عليها التعذيب .

وأما ما جنحت اليه من هدم ما بُنِيَ على مشاهد الاولياء من القباب ، من غير تفرقة بين العامر والخراب ، فهي الداهية الدهياء والعظيمة العظمى من الظلم ، التي أضلك الله فيها على علم ، « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَتَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُدْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » . (١) وكأنك سمعت في بعض المحاضر ، بعض الاحاديث الواردة في النهي عن البناء على المقابر ، فتلقفته مجتملاً من غير بيان ، وأخذته جُزافاً من غير مكيال ولا ميزان ، وجعلت ذلك وليجةً الى ما تقلدته من العسف والطغيان ، في هدم ما على قبور الاولياء والعلماء من البنيان . ولو فاضت الائمة ، واستهديت هداة الامة ، الذين خاضوا من الشريعة لُججها ، واقتحموا ثبجها ، وعالجوا غمارها ، وركبوا تيارها ، لاخبروك أن محل ذلك الزجر ، ومطلع ذلك القبح ، في البناء في مقابر المسلمين ، المعدة لدفن عامتهم لا على النعيين ، لِمَا فيه من التحجير على بقية المستحقين ، ونبش عظام المسلمين . وأما ما بينه المسلمون أو الكفار في أملاكهم المملوكة لهم ، ليصيلوا بمن يدفن هناك جثثهم ، فلا حرج يلحقهم ، ولا حيرمة ترهقهم . فكما لا تحجير عليهم في بناء أملاكهم دوراً أو حوانيت أو مساجد ، كذلك لا حرج عليهم في جعلها قباباً أو مقامات أو مشاهد .

ثم لبتك اذ تلقفت ذلك منهم ، ووعيته عنهم ، أن تعيد عليهم السؤال ، وتشرح لهم نازلة الحال ، وهل يجوز بعد التزول والوقوع ، هدم ما بني على الوجه الممنوع ، وهل هذا التخريب محظور أو مشروع . فاذا أجابوك أنه من معارك الانظار ، ومحل اختلاف العلماء والنظار ، وأن منهم من يقول بإبقائه على حاله ، رعيًا للحائز في اتلاف ماله ، وأن له شبهة في الجملة تحميه ، وفي ذلك البناء منفعة للزائر تقييه . ومنهم من شدد التنكير ، وأبى الا الهدم والتغيير . فاذا تحقق عندك هذا ، فكيف تقدم هذا الإقدام وتخوض مزلق الاقدام ، وتطلق العنان في هدم كل مقام ، من غير مراعاة لِمَلَّ في الدين ولا دمام . فاذا انفتحت لك هذه الابواب ، نظرت بنظر آخر ليس فيه ارتياب ،

وهو أن المنكر الذي اقتضى نظرك تغييره ، ليس متفقا عليه عند أهل البصيرة ، وأنه من مدارك الاجتهاد ، وقد سقط عنك القيام فيه والانتقاد . ثم بعد الوصول الى هذا المقام ، أعد نظرا في ابقاد نار الحرب بين أهل الاسلام ، واستباحة المسجد الحرام ، واخافة أهل الحرمين الشريفين ، والاستهوان لاصابة لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فسبغ لك أنك غيرت المنكر في زعمك ، وبحسب اعتقادك وفهمك ، وأثبت بعلم كثيرة من المناكر ، وطائفة عديدة من الكبائر ، آذيت بها نفسك والمسلمين ، وابتغيت بها غير سبيل المؤمنين ، ونعرضت بها لاذابة الاولياء والصالحين ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام ، في حديث رواه البخاري والامام ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل قال من عادى لي وليا فقد آذنتي بحرب » ، فكفى بالتعرض للحرب الله خطرا ، وقذفا في العطب وضرا .

واما إنكار زيارة القبور ، فأبي حرج فيها أو محذور ، وأي ذميمة تطرفها أو تعروها ، مع ثبوت حديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » ، فان هذا الحديث ناسخ لما ورد من النهي عن زيارتها ، ومأخوذ لما في أول الاسلام من حماية الأمة من أسباب ضلالتها ، لقرب عهدا بجاهليتها ، وعبادة أصنامها وآلهتها . وكيف تمنع من زيارتها ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد شرعها ، وسام رياضها وأربعتها ، فقد ثبت في حديث عائشة أم المؤمنين ، أنه صلى الله عليه وسلم زار بقيع الغرقيد واستغفر فيه لموتى المسلمين ، وثبت أيضا أنه زار قبر أمه آمنة بنت وهب واستغفر لها .

وأخذ بذلك الصحابة والتابعون ، ودرج عليه العلماء والسلف الماضون ، فقد ثبت في الاحاديث المروية عن أبيه الهدى ، ونجوم الاقتداء ، أن فاطمة سيدة نساء العالمين زارت عمها سيد الشهداء ، وذهبت من المدينة الى جبل أحد ، ولم ينكر من الصحابة أحد ، وهم اذ ذاك بالمدينة متآمرون ، وعلى اقامة الدين متناصرون . أفتجعل هؤلاء أيضا مبتدعين ، وأنهم سكتوا عن الابتداع في الدين ؟ كلا والله ، بل يجب علينا اتباعهم ، ومن أدلة الشريعة إجماعهم .

وقد مضت على ذلك العلماء في جميع الاقطار ، وانتدبوا بأنفسهم للاستمداد من قبور الصلحاء ، وقضاء الاوطار ، وخلدوا ذلك في كتبهم ومؤلفاتهم ، وسطروه في

دواوينهم وتعليقاتهم وقسموا الزيادة الى اقسام وأوضحوا ما تلخص لديهم من الاحكام وذلك أن الزيارة ان كانت للاتعاظ والاعتبار ، فلا فرق في جوازها بين قبور المسلمين والكفار ، وان كانت للترحم والاستغفار من الزائر ، فلا منع فيها الا في حق الكافر ، فان الشريعة أخبرت بعدم غفران كفره ، وعليه حملوا قوله تعالى : « وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ » (١) . وان كانت الزيارة لاستمداد الزائر من المزور ، وتوخي المكان الذي فضله مشهور ، والدعاء عند قبره لامر من الامور ، فلا حرج فيها ولا محذور ، بل هو مندوب اليه ، ومرغّب فيه ، وانه مما تشدّ المطي اليه ، ومن خالف في هذا الحكم سبيل جمهورهم ، واتبع من الشبهات مخالف منشورهم ، فقد شدد العلماء في التكسير عليه ، وسددوا سهام النقد اليه ، وأشرعوا نحوه رماح التضليل ، وأرهفوا له سيوف التجهيل ، وافقت كلمتهم على بدعته في الاعتقاد ، وثنوا اليه عنان الانتقاد ، « وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ » .

وأما التهيي الوارد في شد المطي لغير المساجد الثلاثة فانما هو بالنسبة لنذر الصلاة فيها ، فانه لا يختلف ثواب الصلاة لديها .

وأما المزارات فتختلف في التصريف مقاماتها ، وتفاوت في ذلك كراماتها ، وذلك لسر في الاستمداد والامداد لا تطلع عليه ، وضربت بسور له باب بينك وبين الوصول اليه ، وقد أوضح ذلك حجة الاسلام ، ومن شهد له بالصدقية العلماء والاولياء العظام .

وأما ادماجكم لقبور الانبياء في أثناء التكبير ، والتضليل لزارها والتكفير ، فهو الذي أحفظ عليكم الصدور ، وأترع حياض الكراهة والنفور ، وسدد اليكم سهام الاعتراض ، وأوقد شواظ البغض والارتماس .

فقل لي — يا أخا العرب — هل قمت لنصرة الدين أم لتفض عرّاه ، وهل أنت مصدق بالوحي لنبيه أم قائل : « إِنِّ هُوَ الْآءُفَكَ » افتراه ؟ وما تصنع بعد اللتيّ والتّي ، في حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي » ؟ وأخبرني هل تضلّل سليمان بن داود

في بنائه على قبر الخليل ، ومن معه من أنبياء بني اسرائيل ؟ وما تقول -- ويحك -- في الحديث الذي رواه جهاينة الرواة ، وصححه المحدثون الثقات ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لما أسري بي الى بيت المقدس ، مرّ بي جبريل على قبر ابراهيم عليهما السلام ، فقال لي انزل فصلٌ هنا ركعتين ، فان ههنا قبر أبليك ابراهيم عليه السلام ؟ » وعنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر أنه قال : « من لم تُمكنه زيارتي فليزر قبر ابراهيم الخليل عليه السلام ». فأين تذهب بعد هذا يا هذا ؟ وهل تجد لنفسك مدخلا أو معاذا ؟ وهل أبقيت بعد تضليل جميع الانبياء ملاذا ؟ « رَبَّنَا لَا تَزِرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ». (1)

وأما تلميحكم للحاديث التي تلتفنونها ، ولا تحسونها ولا تعرفونها ، فهيمتكم بسبب ذلك في أودية الضلالة ، ولم تشيّموا بها الا برُوق الجهالة ، وسلكتم شيعاتها من غير خبير ، ونحوتم أبوابها بلا تدبّر ولا تدبير ، فان حديث « لا تتخذوا قبوري مسجدا » ، محتمله عند البخاري على جعله للصلاة متعبدا ، حفظا للتوحيد ، وحماية للجاهل من العبيد ، لان المصلّي للقبلة يصبر كأنه مصلّ اليه ، فحمى صلى الله عليه وسلم حيمى ذلك من الوقوع فيه . وأما قصده للزيارة والاستشفاع ، والاستعداد ببركته والانتفاع ، وقصد المسلمين اياه من سائر البقاع ، فما يسعنا الا الاتباع .

وكذلك ما لوحت به الى شدّ الرّحال ، فانك أخطأت في الاستشهاد به في نازلة الحال ، وذلك أن الحصر في المساجد ، دون سائر المشاهد .

وكذلك ما لمحت اليه من حديث تعظيم القبر باسراجه ، فانك أخطأت فيه واضح منهاجه ، مع بهرجة نفده في رواجه ، ومحمّله - على فرض صحّته - على فعل ذلك للتعظيم المجرد عن الانتفاع للزائرين ، أما اذا كان القصد به انتفاع اللائذين والمقيمين ، فهو جائز بلا مَبْنٍ .

وأما ما تدّعون من ذبح الذبائح والتّدور ، وتبالغون في شأنها التغيير والتكبير ، وتصف ألسنتكم الكذب ، وتثيرون في شأنها الهرج والشغب ، فكون الذبائح المذكورة مما أهّل به لغير الله مكابرة للعيان ، وقذف بالآلِف والبهتان ، فاننا بلونا أحوال أولئك الناذرين ، فلم نر أحدا منهم يسمي عند ذبحها اسم ولي من الصالحين ، ولا يلطخ

الضّرائع ، بدم تلك الذبائح ، ولا يأتون بفعل من الافعال ، الحاكمة على تحريم الذبيحة والاهلال .

وأما نذرها لتلك المزارات ، فليس على أنها من باب الديانات ، ولا أن من لم يفعل ذلك يَكُنْ ناقص الدين في العادات ، وانما يقصدون بذلك مقاصد الرُقَى والنُسُر (١) ، والانتفاع في الدنيا بسر في التصديق بها استر ، ولم يدر منها الا ما اشتهر .

والواجب علينا وعليكم الرجوع في حكم نذرها الى العلماء الاعلام ، المتصلعين من دراية الاحكام ، المقيمين لقسطاسها ، المبرجين لنبراسها ، الناقلين على أساسها ، ومن لديهم محك عسجدها ونحاسها .

فان كنتم للحق تقيمون ، ومن مخالفة الشريعة تتجرمون ، « فاسألوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » ، « وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ » ، فانهم يهدونكم السبيل ، ويفتونكم في هذه المسألة بالتفصيل ، وأن هذا الناذر ان نذر تلك الذبائح للولي المعين بلفظ الهدى والبدنة ، فقد جاء بالسنة مكان الحسنة . ولكن ما رأينا من خلع في هذا المحذور رُسْنَه ، ولا من اهتصر فتنه ، وإن نذر تلك الذبائح لمحل الزيارة ، بغير هاته العبارة ، وكان من الذبائح التي تقبل أن تكون هديا ، فهل يلزمه أن يسعى به لذلك المزار سعبا ، أو لا يلزمه الا التصديق به في موضعه رعبا ، خلاف في مذهب مالك شهير ، قرره العلماء النحارير . وان كان ذلك النذر مما لا يصح إهداؤه ، فالقاصد للفقراء الملازمين بمحل الشيخ يلزمه بعته وإنهاؤه ، والقاصد للولي في نذره وتشعره (٢) ، لا يلزمه الا التصديق به في موضعه .

واذا اوضح لديك الحال ، فأني داعية للحرب والقتال ؟ وهل يتميز المشروع من هذه الصور بالمحذور ، الا بالنيات التي لا يعلمها الا العالم بما في الصدور ؟ والله انما كلفنا بالظاهر ، ووكل اليه أمر السرائر . ولم يقيض بالخواطر نقيبا ، ولا جعل عليها مهيمنة من الولاة ولا رقبيا .

(١) النشرة بضم النون : ضرب من الرقية والعلاج . يصلح به من كان يظن أن به صما من الجن (النهاية لابن الاثير)

(٢) تشرع : اتبع شريعة او دين (دوزي)

واذا التزمت سدّ اللذريعة بالمنع من المشروع ، خوفاً من الوقوع في الممنوع ، فالتزم هذا الالتزام ، في سائر العبادات الواقعة في الاسلام ، التي لا تفرقة فيها بين المسلم والكافر ، الا بما انطوت عليه الضمائر . فان المصلي في المسجد يحتمل أن يقصد عبادة الحجارة ، بمثل ما احتمل صاحب الذبائح والزيارة ، والصائم يحتمل أن يقصد بصومه تصحيح المزاج ، أو المداواة والعلاج ، والمزكي يحتمل أن يقصد مقصداً دنيوياً ، أو معبوداً جاهلياً ، والمحرم بحجٍّ أو عمرة ، يحتمل أن ينوي ما يوجب كفره .

واذا وصلت الى هذا الالتزام ، نقضت سائر دعائم الاسلام ، والتبس أهل الكفر بأهل الايمان ، وأفضى الحال الى هدم جميع الاركان ، واستيحت دماء جميع المسلمين ، وهدمت صلواتهم ومساجدهم وصوامعهم أجمعين .

فانظر أيها الانسان ، ما هذا الهذيان ، وكيف لعب بك الشيطان ، وماذا أوقعك فيه من الخسران . فارجع عن هذا الضلال المبين ، وقل ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين .

وأما ما جلبتم من الاحاديث الواردة في تغيير النبي صلى الله عليه وسلم للقبور ، وأنه أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بطمسها وتسويتها ، فقد أخطأتم الطريق في فهمها ، ولم يأتكم نبأ عِلْمِها ، ولو سألتهم عن ذلك ذويه ، لآخبروكم بأن محمله طمس ما كانت الجاهلية عليه ، وكانت عاداتهم اذا مات عظيم من عظمائهم ، بنوا على قبره بناء كَأُطْمَ من آظامهم ، مباهاة وفخرا ، وتعازفاً وكبراً ، فبعث صلى الله عليه وسلم من يمحو من الجاهلية آثارها ، ويطمس مباهاتها وفخارها ، والا فلو كان كما ذكرتم ، لكان حكم التسنيم (1) كحكم ما أنكرتم .

واذا استبان لكم واتضح لديكم ، انقلبت الحجة التي أتيتم بها عليكم ، وكيف تجعلون تلك الاحاديث حجة قاضية ، على وجوب كون القبور ضاحية (2) ، والفرق ظاهر بين البناء على القبور ، وحفر القبور تحت البناء ، فالاول من فعل الجاهلية الوارد فيه ما ورد ، والثاني هو الذي يعوزكم فيه المستند ، ولا يوافقكم على تعميم النهي احد .

(1) تسنيم القبر خلاف تسطيحه . وقبر مسنم اذا كان مرفوعاً عن الارض (اللسان) .

(2) الضاحي من كل شيء . البارز الظاهر (اللسان)

وأما ما نزعتم اليه من التهديد ، وقرعتم فيه بآيات الحديد ، وذكرتم «أن من لم يُجيب بالحجة والبيان ، دعوانه بالسيف واللسان» ، فاعلم يا هذا أننا لسنا ممن يعبد الله على حرف ، ولا ممن يفرُّ عن نصرة دينه من الرحف ، ولا ممن يظن بربه الظنون ، أو يتزحزح عن الوثوق بقوله تعالى : «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» (1) ، ولا ممن يعيل عن الاعتصام بالله سرّاً وعلناً ، أو يشك في قوله تعالى : «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا» (2) ، وما بنا من وهن ولا فشل ، ولا ضعف في النكاية ولا كسل ، نتصر للدين ونحمي حماه ، وما النصر الا من عند الله .

وأما ما جال في نفوسكم ، ودار في رؤوسكم ، وامتدت اليه يد الطمع ، وسوّته الاماني والخدع ، من أنكم من الفئة الذين هم ومن خالفهم ، لا يضرُّهم من خالفهم ، وأنكم من الطائفة الظاهرين على الحق ، وأن هذه المناقب تساق اليكم وتحقُّ ، فكلاً وحاشا أن يكون لكم في هذه المناقب من نصيب ، أو يصير لكم ارثها بفرض أو تعصيب ، فان هذا الحديث وإن كان وارداً صحيحاً ، الا أنكم لم توفّقوا طريقه تنقيحاً ، فان في بعض رواياته «وهم بالمغرب» وهي تحجبكم عن هذه المناقب ، وتبعدكم عنها بعد المشارق من المغارب .

فانقض يدك ، مما ليس اليك ، ولا تمدّ عينيك ، الى من حرّمت عليك ، فانكاح الثريا من سهيل ، أمكن من هذا المستحيل .

أما أهل هذه الاصقاع ، والذين بأيديهم مقاليد هذه البقاع ، فهم أجدر أن يكونوا من اخواننا ، وتمتدُّ أيديهم الى خيوانها ، لصحة عقائدهم السنيّة ، واتباعهم سبيل الشريعة المحمّدية ، ونبذهم للابتداع في الدين ، وانقيادهم للاجماع وسبيل المؤمنين .

وقد أنبأنا في هذا الكتاب ، وأعربت في طي الخطاب ، عن عقائد المبتدعة ، الزائغين عن السنة المتبعة ، الراكبين مراكب الاعتساف ، الراغبين عن جمع الكلمة والائتلاف ، فالنصيحة النصيحة ، أن تترع لباس العقائد الفاسدة وتسرّبل العقائد الصحيحة ، وترجع الى الله وتؤمن بلفاه ، ولا تكفر أحداً بذنب اجتناه . فان تبتم فهو خير لكم ، وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزين الله .

وزبدة الجواب وفذلكة الحساب ، انك ان قفوت يا أخا العرب نصحك ، وأسوت
 بالتوبة جرحك ، وأدملت بالانابة قرحك ، فمرحبا بأخي الصلاح ، وحبها بالموازر
 على الطاعة والنجاح ، وجمع الكلمة والسماح ، وإن أطلت في لجة الغواية سبتك ،
 وشيدت في الفتنة صرحك ، واختلت عارضا رُمحك ، فإن بني عمك فيهم رماح ،
 وما منهم الا من يتقلد الصفاح ، ويجيل في الحرب فائز القيداح .

والله تعالى يسدّ سهام الامة الساعية فيما يحبه ويرضاه ، ويُخمد ضرام الفتنة
 الباغية حتى تضيء الى أمر الله . والسلام .

وبعث حمودة باشا بهذه الرسالة الى القائم الوهابي فلم يجب عنها . ولجّ في حروبه
 وقتاله ، الى أن كانت الهزيمة آخر حاله ، على يد رجل الدنيا وواحد الطائر الصيت
 في جهات المعمور ، من ردّ الله به مصر الى شبابها ، رد شباب امرأة العزيز ليوسف
 الصديق ، وهو أبو عبد الله محمد علي باشا ، عزيز مصر ، رحمه الله .

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

اسماء الكتب التى نشرتها مكتبة الحقيقة

الكتب العربية

اعداد صفحاتها

- ١ - جزء عم من القرآن الكريم ٣٢
- ٢ - تفسير سورة البقرة (شيخ زاده) ٦٠٤
- ٣ - الإيمان والاسلام ٩٦
- ٤ - القول الفصل شرح الفقه الاكبر ٤١٦
- ٥ - نخبة اللآلى لشرح بدأ الامالى ١٤٤
- ٦ - الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية (الجز الاول) ٤٣٦
- ٧ - علماء المسلمين والواهابيون ١٥٦
- ٨ - فتاوى الحرمين برجف ندوة المين ١٢٨
- ٩ - هدية المهديين ويليهِ المتنبئ القاديانى ١٩٢
- ١٠ - المنقذ من الضلال ويليهِ الجام العوام عن علم الكلام
و يليهما تحفة الارب ٢٥٦
- ١١ - المنتخبات من المكتوبات للامام الربانى ٢٥٦
- ١٢ - مختصر (التحفة الإثني عشرية) ٣٥٢
- ١٣ - الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية و يليهِ الحجج القطعية ١٨٤
- ١٤ - خلاصة التحقيق فى بيان حكم التقليد والتلفيق ٣٢٠
- ١٥ - المنحة الوهبية فى رد الوهابية ١٧٦
- ١٦ - البصائر لمنكرى التوسل باهل المقابر ٢٦٤
- ١٧ - فتنة الوهابية و يليها الصواعق الإلهية و يليهما سيف الجبار ٢٥٦
- ١٨ - تطهير الفؤاد و يليهِ شفاء السقام ٢٥٦
- ١٩ - الفجر الصادق فى الرد على منكرى التوسل والكرامات والخوارق .. ١٩٢
- ٢٠ - الحبل المتين فى اتباع السلف الصالحين ١٣٦
- ٢١ - خلاصة الكلام فى بيان امراء البلد الحرام (من الجزء الثانى) ٢٢٤
- ٢٢ - التوسل بالنبي و بالصالحين و يليهِ التوسل ٣٣٦
- ٢٣ - الدرر السنية فى الرد على الوهابية ١٧٦
- ٢٤ - سبيل النجاة عن بدعة اهل الزيغ والضلالة ٢٠٨
- ٢٥ - الانصاف فى بيان سبب الاختلاف و يليهِ عقد الجيد
ومقياس القياس والمسائل المنتخبة ١٩٢
- ٢٦ - المستند المعتمد ببناء نجاة الابد ٢٧٢

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

اعداد صفحاتها

الكتب العربية

- ٢٧- الاستاذ المودودي و يليه كشف الشبهة عن الجماعة التبليغية..... ١٢٨
- ٢٨- كتاب الأيمان (من رد المحتار) ٢٠٨
- ٢٩- الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الاول) ٣٩٢
- ٣٠- الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثانى) ٣٢٠
- ٣١- الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثالث)..... ٣٥٢
- ٣٢- الأدلة القاطعة على الزام العربية فى التوايع ١٢٠
- ٣٣- البريقة شرح الطريقة و يليه منهل الواردين من بحار الفيض
على ذكر المتأهلين فى مسائل الحيض..... ٢٨٨
- ٣٤- البهجة السنية فى آداب الطريقة و يليه ارغام المريد ٢٢٤
- ٣٥- السعادة الابدية فيما جاء به النقشبندية
و يليه الحديقة الندية فى الطريقة النقشبندية ٣٠٤
- ٣٦- مفتاح الفلاح و يليه خطبة عيد الفطر ١٩٢
- ٣٧- مفاتيح الجنان شرح شرعة الاسلام ٥٩٢
- ٣٨- الانوار المحمدية من المواهب اللدنية (الجلد الاول) ٤٤٨
- ٣٩- حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين (من الجلد الثانى)..... ١١٢
- ٤٠- اثبات النبوة و يليه الدولة المكية بالمادة الغيبية ٢٢٤
- ٤١- النعمة الكبرى على العالم فى مولد سيد ولد آدم ٢٣٢
- ٤٢- تسهيل المنافع و بهامشه الطب النبوى ٣٠٤
- ٤٣- الدولة العثمانية من كتاب الفتوحات الاسلامية
و يليه المسلمون المعاصرون ٢٦٤
- ٤٤- كتاب الصلاة ٣٢
- ٤٥- صرف عربى وعوامل والكافية لابن الحاجب ١٦٨
- ٤٦- الصواعق المحرقة فى الرد على اهل البدع والزندقة ٣٣٦
- ٤٧- الحقائق الإسلامية فى الرد على المزاعم الوهابية ١٢٨
- ٤٨- نور الاسلام ٣٠٤
- ٤٩- الصراط المستقيم فى رد النصارى ٨٠
- ٥٠- الرد الجميل فى رد النصارى و يليه ايها الولد للغزالي ٩٦

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

اسماء الكتب التي نشرتها مكتبة الحقيقة

الكتب الفارسية	اعداد صفحاتها
١ - مکتوبات امام ربانی (دفتر اول)	٦٧٢
٢ - مکتوبات امام ربانی (دفتر دوم و سوم)	٦٠٨
٣ - منتخبات از مکتوبات امام ربانی	٤١٦
٤ - منتخبات از مکتوبات معصوميه	
و يليه مسلك مجدد الف ثاني (بترجمة اردو)	٣٩٢
٥ - مبدأ ومعاد	٨٨
٦ - کیمیای سعادت (إمام غزالی)	٣٤٤
٧ - ریاض الناصحين	٣٨٤
٨ - مکاتیب شریفه (حضرت عبدالله دهلوی)	٢٨٨
٩ - در المعارف (ملفوظات حضرت عبدالله دهلوی)	١٦٠
١٠ - رد وهابی و يليه سيف الابرار المسلول على الفجار	١٤٤
١١ - الاصول الاربعة فی تردید الوهابیه	١٢٨
١٢ - زبدة المقامات (برکات احمدیة)	٤٢٤
١٣ - مفتاح النجاة لاحمد نامقی جامی	١٢٨
١٤ - میزان الموازين فی امر الدين	٣٠٤

الكتب العربية مع الاردوية والفارسية مع الاوردية والاردية

١ - طريق النجات (عربی مع اردو)	٢٥٦
٢ - المدارج السننية فی الرد على الوهابية	
و يليه العقائد الصحيحة فی تردید الوهابية النجدية	١٩٢
٣ - عقائد نظاميه (فارسی مع اردو) مع شرح قصيدة بدإ الامالی	١٦٠
٤ - تأييد أهل سنت (فارسی مع اردو)	٩٦
٥ - الخيرات الحسان (اردو)	٢٢٤

BOOKS PUBLISHED BY HAKİKAT KİTÂBEVİ

(P.K.35 Fâtih, İstanbul-Turkey)

ENGLISH:

- 1 — Endless Bliss I, 6th ed., 248 pp., 1985
- 2 — Endless Bliss II, 6th ed., 296 pp., 1985
- 3 — Endless Bliss III, 5th ed., 160 pp., 1985
- 4 — Endless Bliss IV, 6th ed., 326 pp., 1985
- 5 — Endless Bliss V, 4th ed., 152 pp., 1985
- 6 — The Religion Reformers in Islam, 6th ed., 264 pp., 1986
- 7 — The Sunni Path, 10th ed., 96 pp., 1986
- 8 — Belief and Islam, 10th ed., 96 pp., 1986
- 9 — Evidences for Prophethood and Answer to a University Student, 6th ed., 128 pp., 1985
- 10 — Answer to an Enemy of Islam, 9th ed., 128 pp., 1986
- 11 — Advice for the Muslim, 6th ed., 320 pp., 1985
- 12 — Islam and Christianity, 1st ed., 200 pp., 1986

FRENCH:

- 1 — Al rad al jamul, Ayyuha'l-walad (Al-Gazâli), 1st ed., 104 pp., 1986
- 2 — Islam et la voie d'ahl-i Sunnat, 4th ed., 88 pp., 1983
- 3 — Foi et Islam, 5th ed., 104 pp., 1983
- 4 — Islam et christianisme, 1st ed., 1986
- 5 — L'Evidence de La Prophétie, 2nd ed., 80 pp., 1980

GERMAN:

- 1 — Islam und der Weg der Sunniten, 4th ed., 96 pp., 1986
- 2 — Glaube und Islam, 3rd th., 72 pp., 1986
- 3 — Islam und Christentum, 1st ed., 1986

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

هذا الكتاب (الحقائق الإسلامية في الرد على المذاهب الوهابية) ألفه مالك بن داود مدير (مدرسة العرفان) بمدينة «كوتيا لا» بجمهورية «مالي» الواقعة في قارة أفريقيا سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ١٩٨٣ م. يقول المؤلف في كتابه هذا: «أن المسلمين افترقوا على فرق متعددة عبر التاريخ إلا أنهم لم يكفروا مخالفتهم من المسلمين ولكن بعد ظهور فرقة «وهابية» منذ حوالي مائتين (٢٠٠) عاما كفروا من المسلمين من خالفهم ونصحهم بالألأ بعلوا في الامر والألأ يقوموا بالفرقة بين المسلمين وذكرهم بأن نبيا صلى الله عليه وسلم قال بعهم المسلمين (أمسى) وطالبهم بأن يعدلوا عن هذه الفكرة ودعاهم إلى التحب والتأخي والتضامن والتساند الإسلامي والعمل سويا من أجل هذا الهدف وقد أتت هذه الرسالة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن ديننا يدعونا ويأمرنا بالإتحاد والمعاونة.»

مكتبة الحقيقة

This work, *Al-haqā'iq al-Islamiyya fī 'r-raddi 'ala 'l-mazā'imi 'l-Wahhābiyya*, was written by Mālik bā bin Dāwud, Director of *Madrasat al-'Irfān* in Koutiula, Republic of Mali, Africa, in 1403 A.H. (1983). In this book, he states that, though Muslims have been divided in various groups, in the course of history, they all called one another "Muslims", that the Wahhābis, who came about two centuries ago, say "unbelievers" or "polytheists" for all the Muslims who do not follow their path; he advises them that they should not be excessive and disunionist as such. He reminds that our prophet said "My Ummat" for all Muslims regardless of their group; he urges that the Wahhābis should get rid of such disunionism and that all Muslims should love one another and work as brother hand in hand. The author documents with āyats and hadiths that Islam commands uniting and cooperation.

İşbu (El-hakâik-ul-islâmiyye firreddi-nlel-mezâ'in-il-vehhâbiyye) kitâbını Afrikada Mali Cumhûriyetinin Koutiala şehrindeki (Medrese-tül irfân) müdürü Mâlik beh bin Dâvud 1403 [m.1983] senesinde yazmışdır. Bu kitâbında, müslümanlar târih boyunca, çeşitli fırkalara ayrılmışlar ise de, hepsinin birbirlerine müslüman dediklerini, ancak ikiyüz sene önce ortaya çıkan vehhâbilerin, kendilerine uymıyan bütün müslümanlara kâfir, müşrik dediklerini bildirmekde, böyle taşkınlık, bölücülük yapmamaları için, onlara nasihat vermektedir. Peygamberinizin, hangi fırkada olursa olsun, bütün müslümanlara (Ümmetim) dediğini hatırlatmakda, vehhâbilerin böyle bölücülükden vazgeçmesini, bütün müslümanların sevişmelerini, elele vererek, kardeş olarak çalışmalarını istemekdedir. Dinimizin birleşmeği, yardımlaşmağı emr etdiğini, âyet-i kerîmeler ve hadîs-i şerîflerle isbât etmektedir. Kitap arabçadır. İçinde osmanlıca yazı hiç yoktur.

Hakikat Kitâbevi